

# قافلة الزيت

رمضان ١٣٩٦ - أغسطس/ سبتمبر ١٩٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم


# قافلة الزيت

العدد التاسع — المجلد الرابع والعشرون

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها - ادارة العلاقات العامة
"توزع مجانا"
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران. المملكة العربية السعودية


## محتويات العدد


| | | |
|---|---|---|
| في القرآن الكريم من كل لسان | سميح أبو مغلي | ١ |
| هندسة الخارطات | جورج ليان | ٣ |
| صناعة الساعات وعلم التوقيت عبر التاريخ | سليمان نصر الله | ٦ |
| مظاهر الطبيعة في شعر أبي تمام | د. أحمد الحوفي | ١٤ |
| الخرافة واليقين ( قصيدة ) | محمود عارف | ١٧ |
| صفحات مشرقة من تاريخ المساجد وعمارتها في مكة والمدينة | ابراهيم أحمد الشنطي | ١٨ |
| رؤى الأمس ( قصيدة ) | طاهر زمخشري | ٣٧ |
| التصوير الفني في القرآن | أبو طالب زيان | ٣٨ |
| أخبار الكتب | | ٤١ |
| مرض الخلايا المنجلية | د. ابراهيم ناصر | ٤٢ |
| العالم السعيد ( قصة ) | محمد المجذوب | ٤٦ |


التعليق على صورة الغلاف

القبة الخضراء ومن خلفها احدى مآذن المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة .


راجع مقال : « تاريخ المساجد وعمارتها في مكة والمدينة »


تصوير : شيخ امين






تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

# في القرآن من كل لسان

بقلم: الأستاذ سميح أبو مغلي

منذ أواخر القرن الثاني الهجري والجدل قائم بين اللغويين فيما يتعلق بتلك الكلمات الواردة في القرآن الكريم من أمثال : استبرق ، وسجيل ، ومشكاة ، وطه ، والتنور ، والصراط ، والقسطاس ، وغيرها .

وقد انقسم القدماء بصدد ذلك الى فريقين : ذهب الفريق الأول الى أنه ليس في كتاب الله — عز وجل — شيء بغير لغة العرب ، مستندين في قولهم هذا الى قول الله تعالى « **انا جعلناه قرآناً عربياً** » وقوله « **بلسان عربي مبين** » وقوله « **ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي** » وكان على رأس هذا الفريق الامام الشافعي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن جرير الطبري والقاضي أبو بكر الباقلاني .

روي عن أبي عبيدة قوله : « من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول » واحتج بقول الله تعالى « **انا جعلناه قرآناً عربياً** » كما روي عنه قوله : « ومن زعم أن طه بالنبطية فقد أكبر الفرية ، وان لم يعلم ما فيه ، فهو افتتاح كلام ، وهو اسم للسورة وشعار لها » .

أما الشافعي فقد شدد النكير على القائلين بوجود الأعجمي في القرآن الكريم ، ويمكننا تتبع رأيه مفصلا في « الرسالة » حيث اعتمد في رد دعوى العجمة عن القرآن الكريم على نقطتين :

• ان لسان العرب واسع المذهب ، فلعل اللفظ المقول بأعجميته كان عربياً ، ولكن لا يعلم عربيته الا بعض العرب ، ممن بلغهم علمه ، والقرآن ذاته يدل على أنه خال من الأعجمي .

• وان ما جاء من الأعجمي موافقاً للعربي فانما هو من باب توافق اللغات لا أكثر .

وزعم الفريق الثاني أن في القرآن ما ليس بلغة العرب حتى ذكروا لغة الروم والقبط والنبط ، معتمدين في دعواهم هذه على ما رُوي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة من أن أمثال : سجيل ، مشكاة ، أباريق ، استبرق ، أليم ، والطور ، من غير لسان العرب . ويرى أصحاب هذا الرأي أن ابن عباس وصاحبيه أعلم بالتأويل من أبي عبيدة .

قال الامام السيوطي : « وأقوى ما رأيته للوقوع ، وهو اختياري ، ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال : « في القرآن من كل لسان » وقد صوب هذا الرأي أبو عبيد القاسم بن سلام ، فيما نقل عنه أبو الحاتم الرازي ، وضرب لذلك مثلا بأن (الطور) في العربية : « طورا » في السريانية ، وان « اليم » في العربية : « يما » في السريانية ، و « استبرق » في العربية : «استبرة» في الفارسية ، و«سجيل» في العربية : هو « سنك كل » في الفارسية ومعناه حجارة الطين . قال « أبو عبيد » « ومن أسماء الأنبياء في كتاب الله » ابراهيم واسماعيل وموسى وعيسى انما هي بالعبرانية وبالسريانية : ابروهيم ، اشموئيل ، ميشا ، وايشوا ، فعربها العرب » .

ثم جاء المتأخرون من العلماء ، وكان موقفهم محاولة التوفيق بين الرأيين ، حيث تبدى لهم أنه ليس ثمة خلاف بين القدماء ، وان تلك الكلمات التي جاءت في القرآن ووضعت بالأعجمية انما هي ألفاظ اقتبسها العرب الأقدمون من لغات مجاورة وصقلوها وهذبوا صورتها ثم شاعت في كلامهم قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام وجدها تكوّن عنصراً من عناصر اللغة العربية ، ووجد الناس لا يكادون يشعرون بعجمة فيها ، فمثلها مثل كل الكلمات العربية التي كانت تجري على ألسنتهم ، ولذا تُعد من اللسان العربي ، غير أنها على حسب أصلها البعيد أعجمية ومستمدة من لغة أجنبية .

قال ابن سلام أبو عبيد القاسم : والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء ، إلا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها من ألفاظ العجم الى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال أنها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق . وذكر الجواليقي في المعرب مثله وقال : فهي عجمية باعتبار الأصل ، عربية باعتبار الحال . وركز بعض هؤلاء المتأخرون القول على أن الكلمات الأعجمية المذكورة في القرآن الكريم ان هي إلا اتفاق وقع بين اللغات فليست هذه الكلمات بأعجمية فقط ولا عربية فقط وانما هي واقعة في العربية وغير العربية مؤكدين بذلك ما ارتآه الشافعي وأبو عبيدة من الفريق الأول من القدماء . قال الامام فخر الدين الرازي : ما وقع في القرآن من نحو المشكاة والقسطاس والاستبرق والسجيل ، لا نسلم أنها غير عربية ، بل غايته ان وضع العرب فيها وافق لغة أخرى ، كالصابون والتنور فان اللغات فيها متفقة . وقال ابن جني في الخصائص : يقال أن التنور لفظة اشتركت فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم . وأورد الثعالبي في فقه اللغة : فصلا في أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد ، وذكر (التنور) على رأس تلك الأسماء .

غير أن السيوطي في (الاتقان) أورد باباً ذكر فيه ما ورد في القرآن من الألفاظ بغير لغة العرب ذكر منها قرابة ستة وعشرين لفظاً أرجعها الى اللغة الحبشية .

والمحدثون من اللغويين ، أيضاً ، تباينت أراؤهم ، فمنهم من ينكر وجود كلمات أعجمية في القرآن الكريم ، فالمحقق الشيخ أحمد محمد شاكر في نشره لكتاب المعرب للجواليقي يقول : والعرب أمة من أقدم الأمم ولغتها من أقدم اللغات وجوداً ، كانت قبل ابراهيم واسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرانية والسريانية وغيرها ، بله الفارسية ، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها ، لعله من بعض ما فقد أصله ، وبقي الحرف وحده .

غير أن هذا الشيخ المحقق الجليل بتصديره رأيه بلفظة (لعل) يجعلنا نوقن أنه انما يلجأ الى أحكام ظنية .

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فقد جمع الألفاظ القرآنية التي يقال بأعجميتها في أربع مجموعات : ألفاظ المجموعة السامية ، ألفاظ المجموعة الهندواروبية ، ألفاظ المجموعة الحامية ، وألفاظ المجموعة الطورانية ، وقد اجتهد المستشرق « نولدكة » في ايراد ما استطاع الاهتداء اليه من الألفاظ الحبشية التي استعملها القرآن ، كما ذكر « برجشتراسر » طائفة من الألفاظ العربية الدينية التي ترجع الى أصل حبشي كالحواريين ومنافق وفطر ومنبر ومحراب ومصحف وبرهان إلخ .

ولقد جاء في أقوال الدكتور عبد المجيد عابدين في هذا الصدد أن كلمة « حواري » مثلا مع كون بنائها غير مألوف في العربية ، لا يمكن اشتقاقها من « حار » لأن ما هو أقرب الى معنى الحواريين من معاني هذه المادة ، وهو الرجوع ، أبعد عنه بكثير من معناها في الحبشية وهو السير والسفر ، والحواريون في لغة الكنيسة رسل المسيح . وكذلك « منافق » مأخوذ من نافق الحبشية أي شك وداهن وخالف ، ولا علاقة في العربية بين النفاق وسائر معاني مادة نفق فيها ، وهي في الحبشية تدل على المخالفة والاتصال ، فالمنافق هو الذي يخالف ظاهره باطنه . و « فطر » لم تؤد معنى الخلق في العربية قبل مجيئها في القرآن الكريم ، وأصل معناها العربي الشق ، وهي في الحبشية مألوفة في معنى الخلق . وكلمة « مشكاة » في الحبشية : « مصكوت » ومعناها الكوة ، وفي القرآن يرسم المقطع الثاني بالواو « مشكوة » مما يدل على أن حركته لم تكن فتحة ممدودة في الأصل وانما كانت واواً ممالة كما في الحبشية تماماً .

والآن ففي تصوري أنه لا بد من نظرة الى أصول التاريخ القديم ، فهناك نجد روايات عن هجرات خرجت من الجزيرة العربية قبل التاريخ ، الى بلاد العراق هي الهجرات الأكادية التي ولّدت البابلية والأشورية والكلدانية ، والى بلاد الشام والتي ولدت النبطية والأرامية والسريانية وغيرها ، وكذلك نجد روايات تخبرنا عن هجرات الى بلاد الحبشة وتأسيس مملكة عربية على ساحل البحر الأحمر من الجهة الأخرى « لعلها في ارتيريا اليوم » ونجد أيضاً غزوا حبشياً لليمن وغزواً فارسياً ، كل ذلك بالاضافة الى اتصال العرب بكل من حولهم من حبش وفرس وروم عن طريق التجارة والوفادة وعن طريق المناذرة والغساسنة واليمن . ولو أتيح لنا أن ندرس كل ما يتعلق بتلك الروايات عن تلك الفترات التي سبقت الاسلام بوقت طويل ثم بوقت قصير لأمكننا أن نتصور ألفاظاً من اللغة العربية نزحت مع من هاجروا ومع من تاجروا الى بلاد الشام وفارس والحبشة وان هذه الألفاظ التي يظن أنها أعجمية في القرآن الكريم ، وفي اللغة العربية بعامة قبل الاسلام وفي فجره ، ان هي الا تلك الألفاظ التي ذهبت وقد عادت الى حظيرة العربية ، فهي عائدة وليست وافدة و « الألفاظ تجاوز حدودها ثم تعود » كما يقول الدكتور ابراهيم السامرائي ، أما البروفسور أولمان فيسمي هذه الظاهرة باستيراد الصادرات في كتابه « دور الكلمة في اللغة » الذي ترجمه الى العربية الدكتور كمال بشر .

على أننا لا نزعم أن كل الألفاظ القرآنية المقول بأعجميتها هي ألفاظ عائدة ، وانما هنالك ألفاظ من لغات سامية وغير سامية وفدت الى العربية ولكنها أصبحت بحكم العربية بعد أن لاكتها الألسن والأشداق العربية وقضي بها طول التزامن وذلك قبل نزول القرآن بلسان عربي مبين ●

سميح أبو مغلي – عمان




اقتصر قديماً على تصميم الخارطات الكروية وهندسة الخرائط المسطحة (١) لفئة محدودة من البحارة ، حين دخل هذا الفن الدقيق طور الجمود ، فطور الانحطاط طوال القرون الوسطى . ففي هذا الدور المظلم انتقلت علوم اليونان والهند والفرس الى العرب في زمن الأمويين أولا والعباسيين ثانياً ، وإبان نهضة العرب في الأندلس الذين اندفعوا بحماس نحو نقل وترجمة الكتب الجغرافية التي كانوا يظفرون بها . ويذكر ابن النديم في « الفهرست » طائفة من الكتب الجغرافية والفلك والرياضيات التي عرف بها وجاء على ذكرها . وكان من اهتمام العرب بالفلك انهم وضعوا آلات رصدية متنوعة جداً ودقيقة الصنع ، مستندين في ذلك الى علم الآلات . وفي مكتبة « الاسكوريال » بأسبانيا نماذج من الاسطرلابات العربية والأدوات الخاصة بالملاحة وهندسة الخرائط وتصميمها . هذه الثروة الضخمة من المعارف انتقلت بدورها الى أوروبا في خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، واستفاد منها أبناء « جنوا » و « البندقية » في أسفارهم واستطلاعاتهم ، والاسبان في اكتشاف العالم الجديد ، والبرتغاليون في مغامراتهم لاكتشاف طريق الهند .

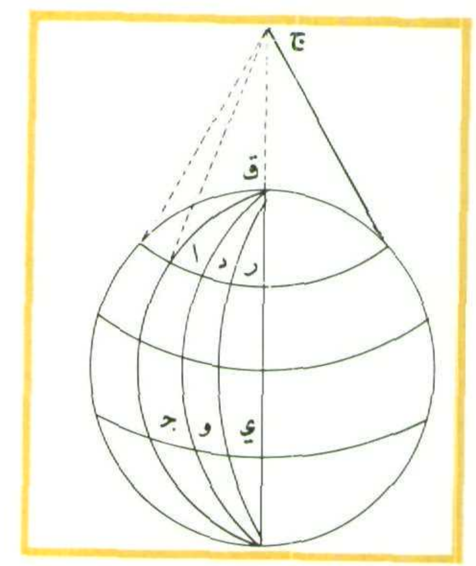
ازدهر فن رسم الخرائط لدى ظهور خرائط « دي لاكازا » عام (١٥٠٠م) ، و « جورج رينيل » البرتغالي عام (١٥٠٥م) وتحفة « مركاتور » المتقنة ، وخرائط أسبانية أخرى ، فحملت فريقاً من الربابنة على عقد اجتماع في « شارل كنت » سنة ١٥٢٦م تقرر فيه جمع الخرائط العربية — الاسبانية نظراً لضبط تنسيقها الفني ومعلوماتها العلمية الصحيحة . وعلى أثر ذلك ظهرت خرائط عديدة أهمها : خرائط « سيبا ستيان كابو » الكروية المسطحة ، و « أورانس فينه » ، و « ديسيليه » ، و « جان دي كلامورغان » ، وخريطة مسطحة دقيقة « لهارلي » ومئات غيرها .

وقد تزعم الهولنديون ، في ذاك العهد ، حركة النهضة الجغرافية بوجود « اورنيليوس » وبخاصة « مركاتور » الذي ابتكر تصميمين جديدين :

* الأول : وقد أظهر فيه شكل الكرة الأرضية وعرف هذا النوع من التصميم بفن « تجسيم الصور وتكبير الرسوم — Stereographic ».
* الثاني : وهو عبارة عن خرائط دقيقة جداً للملاحة اشتهرت « بتصميم مركاتور » . وهكذا بدأت معارف الجغرافيين ورسامي الخرائط تتوسع وتتطور خلال القرون ، السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر . وقد ظهر أول تخطيط لمساحة دولة أوروبية في اسكنديناڤيا على يد « بورايوس » حيث اتبعت بقية الأمم نسقه في هندسة الخرائط البحرية والأرضية . ولا يسمح المجال بالخوض في تواريخ الخرائط وشكل تصميمها الهندسي في كل دولة على حدة ، لذلك فاننا سنكتفي بابراز الناحيتين العلمية والفنية في مساهمة العرب وصلتهم الوثيقة بالاكتشافات الكبرى وبالنهضة الانسانية .

---

١) — الخارطة : ما ترسم على هيئة الأرض أو أقليم منها . ويقول صاحب المنجد : ان عربيتها المصور أو المخطط ، واصطلح اسم « خارطة » على الكرات .




تصميم خريطة آركان حرب

## نسق التصميمات

تنفذ عمليات التخطيط أولا على سطح منبسط ، لتظهر الخطوط والمواقع المتعددة واضحة على سطح كروي . وتشمل هذه العمليات أما سطح الكرة كاملا أو أقسامه الرئيسية أو ناحية واحدة منه فقط . ففي الحالة الأولى تسمى تلك التصميمات « الخارطات العالمية — Mappa - Mundi » ، والكروية المسطحة حين تكون الخريطة على شكل دائرة ، وفي الحالة الثانية : يطلق عليها اسم « الخرائط العامة أو الخرائط الخاصة » ، وهذه الأخيرة تشمل المخططات الخاصة بمساحة الأراضي — « Topographique » والرسوم الهندسية — « Geometrique » والخرائط المتعددة الألوان— « Chromogrpahique » . ويوجد نسق خاص برسم الخرائط المائية — « Hydrographique » وتشمل الأبحر والأنهر ، والجيولوجية ، إلخ . أما السطوح شبه الكروية فليس من السهل اتقانها لأنه من المستحيل تكوين شكل مسطح منهـا .

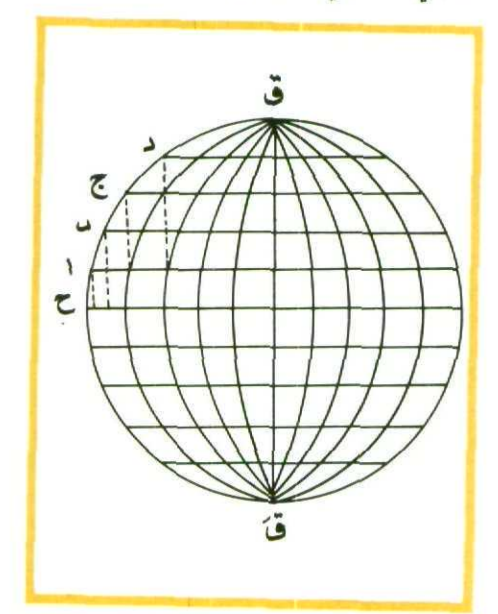
ان أساس كل الخرائط هو الخيش — « Talagarsa ، Canvas » أي القماش الذي تتقابل فيه شبكة خطوط الطول والمتوازيات المسطحة مع خطوط الطول والمتوازيات في الكرة . فهذه الشبكة قد تنتج عن تخطيط حسب حكم هذا أو ذاك من خطوط الطول والمتوازيات المقابلة تقريباً لسعة السطح ، وتتم طريقة التخطيط هذه اما برسم الخطوط على القماش الرقيق العادي فيمثل خطوط العرض والمتوازيات المعينة بشكل هندسي ، واما باتباع قانون رسمي تفرضه اعتبارات خاصة يراد تطبيقها . وعلى أساسها تنقسم التصميمات الى مجموعتين :

• التصميمات الأورتوغرافية المطبوعة — «Projection Orthogrophique» والمجسمة الصور والرسوم — Projection Stereo-graphique » وهي تصمم على صفحة مسطحة منبسطة يختار لها تخطيط الهاجرة أو الاستواء ، وهذا الأسلوب متبع في رسم الخارطات العالمية .

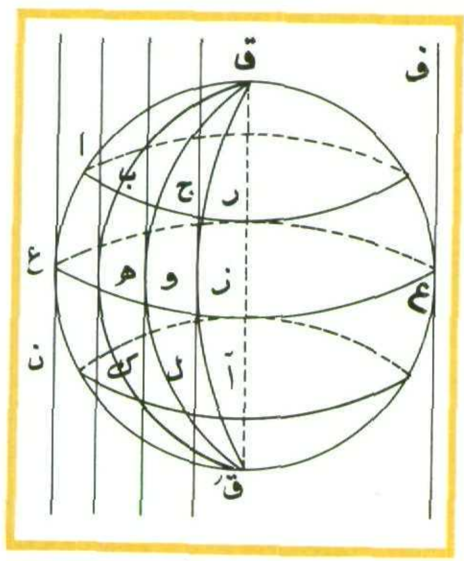
• التصميمات المخروطية ، والاسطوانية ، والمتعددة الجوانب والوجوه : تصمم هذه كلها على سطح مرن ، مخروطي أو اسطواني أو متعدد الجوانب ، أو سطح محدود ومحصور في قطع ، وقد يختلف كذلك تقريباً عن الجزء أو الجانب المعد للرسم ، وتمد فيما بعد على صفحة السطح المعين . وتتبع في رسم خرائط المساحة ، طريقة تشابه الأجزاء التي ابتكرها « بابينه » لابراز السطوح ، أو طريقة «كاسيني » في تخطيطه الاقليمي ، أو طريقة « فلامستيد » المستمدة من طريقة « بون — Bonne » الحربية.

أما الطرق الأخرى المتبعة في رسم الخرائط والمخططات ، فتشمل :

• التصميم الكتابي المضبوط لموقع ما على سطح مستو هو الركيزة لخط عمودي وضيع للموقع المقصود على الصفحة المستوية . ويطلق على خط الاستواء المرسوم على السطح « تصميم كتابي استوائي — « Projection Orthog-




تصميم كتابي لخطوط الطول

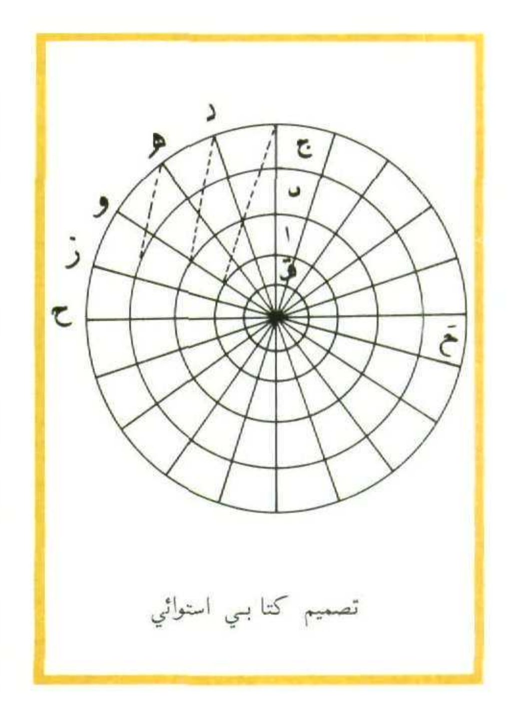



تصميم خريطة مركاتور

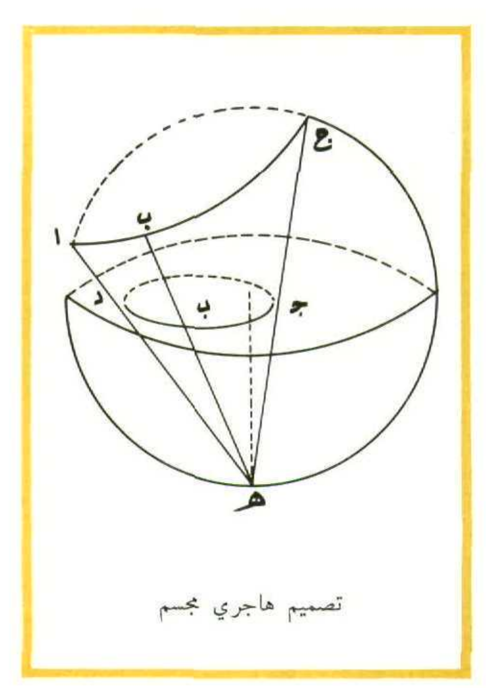
raphique Equatoriale » . ومن البديهي ، أن تنقل التقاطعات في وسط الخريطة بدقة تقريباً . وأما تلك ، المجاورة لخط الاستواء ، فمشوهة . وتستعمل هذه الطريقة عادة في رسم الخرائط الفلكية . ومن بين الخرائط المرغوبة ، الخرائط البحرية ، التي تسهل للربابنة الابحار عبر المحيطات بأمان ، وتكون عادة مسطحة وصغيرة الحجم . وهناك أيضاً الخرائط المجسمة المستخدمة لأغراض الابحار قرب الشواطىء وفي الأسفار البعيدة . ففي هذا اللون من الخرائط يوجد ، عداً عن الاشارات الخاصة بمواقع النيران ، والمنارات ، والعوامات ، والصخور ، خطوط تدل على المواقع القليلة العمق ، وتعليمات وافية عن موانىء الرسو ، كمركز الميناء وموقعه الجغرافي . أما المسابير ، والأعماق ، والمرتفعات فتظهر في الخريطة بالأمتار ومتدرجة بدرجات دقيقة .

واذا أعتبر خط هاجرة كرسم في التصميم ، فيكون الرسم كتابياً هاجرياً . فالمتوازيات الواقعة عند ذاك الخط تمثل على القماش بخطوط قائمة بخط عمودي مقابل للقطبين ، وخطوط الطول بأقواس ناقصة الدوائر . وكل ما يمر بمركز الأرض من خطوط الطول والمتوازيات على غرار ذاك الرسم ، يظهر ، حتماً على القماش على شكل أقواس ناقصة الدوائر .

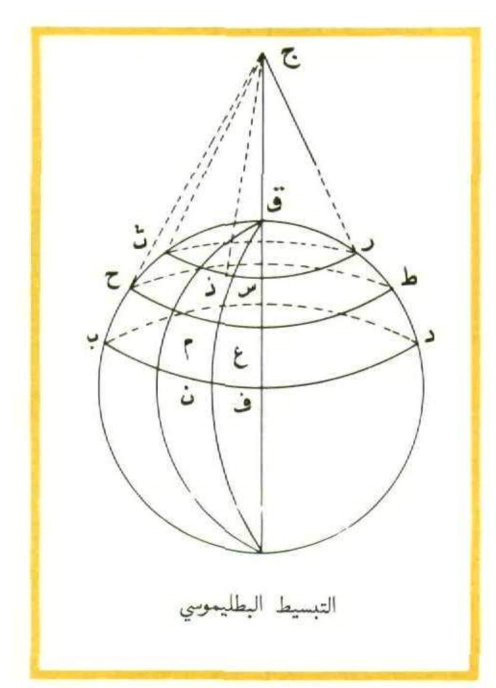
ومع مرور الزمن ، تعددت أشكال الخرائط الجغرافية وصارت كل دولة تعنى برسم خرائط مفصلة أو موجزة لبلادها وللمناطق التابعة لها . وهذه الخرائط ترسم عادة على درجات وأحجام



تصميم كتابي استوائي



تصميم هاجري مجسم



التبسيط البطليموسي

تبعاً للحاجة . أما بالنسبة لتحديد مراكز النجوم في القبة الزرقاء فيمكن القيام بذلك بالارصادات المستمرة للحصول على لوائح أو سجلات بها . وقد عني العرب بهذه اللوائح وبهذا النوع من الخرائط . وتنظيم هذه اللوائح دقيق ومهم للغاية ويقتصر فقط على النجوم والكواكب المشعة الساطعة أي المنيرة ، وهذه الانارة يقال لها أقدار والواحد قدْر . فالقدر الأول نحو عشرين نجماً ، والقدر الثاني أربعين نجماً . وأما نجوم القدر الثالث فنحو ١٤٠ نجماً والقدر الرابع فنحو ٣٠٠ نجم ، والخامس فنحو ٩٥٠ نجماً ، والسادس فنحو ٤٤٥٠ نجماً . وكل قدر يحوي من النجوم أكثر من ثلاثة أضعاف ما يحويه سابقه ، وعليه يجب أن تحصى النجوم بالملايين . ولا يرى بالعين المجردة ما دون القدر السادس من النجوم ، فيكون مُجمل النجوم الظاهرة للعين المجردة ما يزيد على ستة آلاف نجم . أما الصور النجومية فقديمة ومولدة ، فالقديمة هي التي عرفها العرب بأسمائها ، والمولدة ما كان غير معروف عندهم وهي مقتطعة من الصور القديمة . وكلما ازداد اتقان صنع المراصد صار في الامكان رؤية أبعد النجوم وتصويرها . وقد سهلت أجهزة الرصد الحديثة للعلماء رؤية ما فوق القدر السادس عشر من النجوم وتصويرها وتحديد مواقعها ووضع خريطة دقيقة جداً للقبة الزرقاء ولابعاد النجوم ومراكزها.

أما بالنسبة للخريطة الهندسية فيرسم عليها ما يستدل به على طبيعة الأرض وما في جوفها ، وتعرف « بالخريطة الجغرافية الأرضية — Geodesie » ومثلها الخرائط الطبوغرافية التي يفصل فيها تخطيط مكان معين تحل عملياتها على الطريقة التالية :

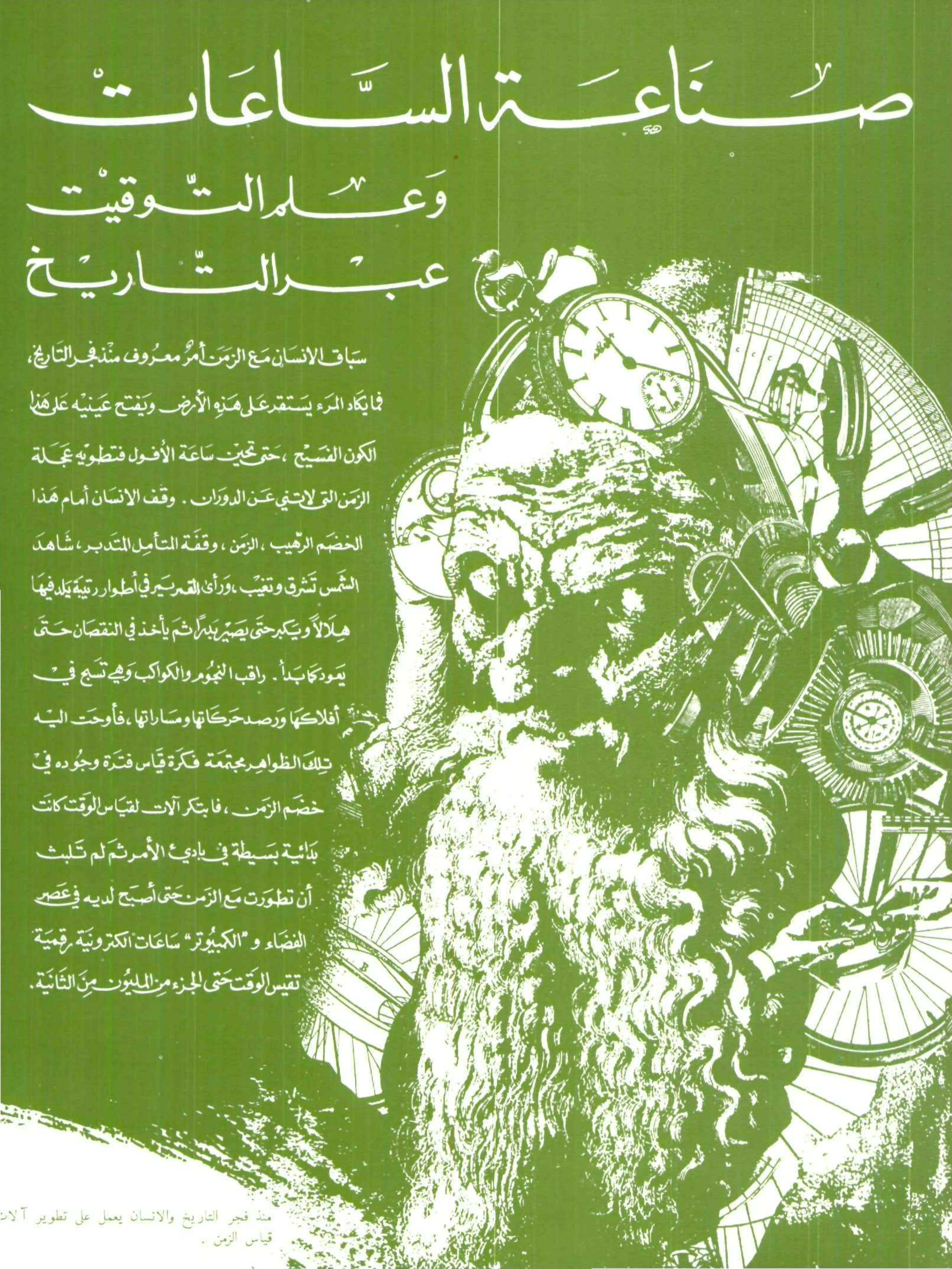
على الخريطة ثلاثة موقع أدلتها « أ ب ج » والمطلوب أن يحدد عليها الموقع الرابع « د » ، بمعرفة الزوايا التي تنظر من موقع د ، وطول كل من أ ب و أ ج . فحل المسألة هندسياً سريع جداً ، الموقع « د » هو الملتقى أو نقطة التقاطع لقوسي الدائرة المتجاوبين مع قطع الدائرة المبنية على « أب » و « ب ج » اللذين يشكلان الزوايا المعروفة . فتحديد الموقع « د » ليس دائماً عملياً ، وانما يمكن حساب طول « أد » و « ب د » و « ج د » بواسطة حساب المثلثات .

وهناك أيضاً خرائط خاصة بالظواهر الجوية ، والفيزيائية ، ومنها الخرائط المغناطيسية التي يستدل بها على مواقع العناصر المغناطيسية في أماكن مختلفة من الأرض : أي الميل ، والانحراف ، والكثافة المغناطيسية ، فقد تكون مختلفة في مكان واحد ، والخرائط تشير الى قيمتها الوسطية سنوياً . فالانحناءات أو تجمع نقاط الانحناء نفسه تسمى « خطوط الزوايا المتماثلة أو المتساوية — Isoconique » والتي تجمع نقاطاً متساوية المَيْل تسمى « خطوط متساوية المَيْل — Isocline » ، والمحدبات تسمى « الخطوط المتساوية القوة أو المتناسبة الحجم — Isodynamiques » وهي تجمع نقاط مغناطيسية متساوية الكثافة . فخط تساوي المَيْل يتجاوب أحياناً مع مَيْل باطل يسمى الاستواء المغناطيسي ●

جورج ليان — الارجنتين

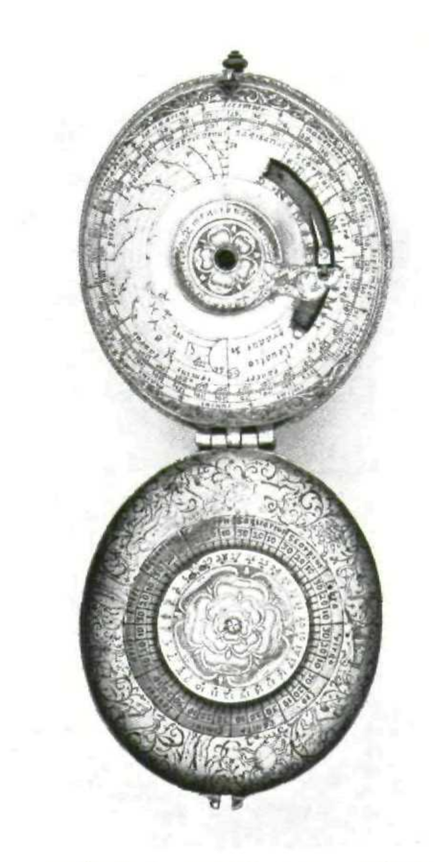
# صناعة الساعات

## وعلم التوقيت عبر التاريخ



سباق الانسان مع الزمن أمر معروف منذ فجر التاريخ، فما يكاد المرء يستقر على هذه الأرض ويفتح عينيه على هذا الكون الفسيح، حتى تحين ساعة الأفول فتطويه عجلة الزمن التي لا تنثني عن الدوران. وقف الانسان أمام هذا الخصم الرهيب، الزمن، وقفة المتأمل المتدبر، شاهد الشمس تشرق وتغيب، ورأى القمر يسير في أطوار رتيبة يبدؤها هلالاً ويكبر حتى يصير بدراً ثم يأخذ في النقصان حتى يعود كما بدأ. راقب النجوم والكواكب وهي تسبح في أفلاكها ورصد حركاتها ومساراتها، فأوحت اليه تلك الظواهر مجتمعة فكرة قياس فترة وجوده في خضم الزمن، فابتكر آلات لقياس الوقت كانت بدائية بسيطة في بادئ الأمر ثم لم تلبث أن تطورت مع الزمن حتى أصبح لديه في عصر الفضاء و "الكمبيوتر" ساعات الكترونية رقمية تقيس الوقت حتى الجزء من المليون من الثانية.

منذ فجر التاريخ والانسان يعمل على تطوير آلات قياس الزمن .



•ساعة فلكية بيضاوية الشكل تضمها علبة أنيقة مموهة بالذهب والفضة .

يمر فن صناعة الساعات و « علم قياس الوقت — Horology » ، بفترة انتقالية شهدت أعظم الانتصارات التي حققها الانسان في مجال الفضاء . ولعل التطور الذي تم في حقل علم قياس الوقت في السنوات العشر الماضية كان ذا أثر جليل في الدقة التي توخاها علماء الفضاء في عمليات اطلاق المركبة الفضائية نحو أهدافها المرسومة . فالساعات الآلية ، على تباين أنواعها وأحجامها ، التي تقاس دقتها بالثواني في اليوم الواحد اخذت تتوارى عن الانظار لتفسح المجال للساعات الالكترونية التي تقاس دقتها ببضع ثواني في العقد الواحد . ليس ذلك فحسب ، فهناك الآن « ساعات السيزيوم الذرية — Cesium Atomic Clocks » التي تبلغ حداً من الدقة يصل الى ثانية واحدة في ٣٠٠٠ سنة . كما أن مصير الساعات التقليدية ذات العقارب ، وهي الشائعة اليوم ، سيتضاءل تدريجياً أمام الساعات المستحدثة التي تعلن الوقت على مينائها بأرقام مضيئة ، شأن اشارات النيون الضوئية في الأحياء التجارية ذات الوميض المتصل . وهذه الساعات أخذت تشق طريقها في الأسواق مثل كل سلعة مستحدثة أو كل جديد مبتكر .

ونحن اذا أدرنا عقارب الزمن الى الوراء ، مع استحالة عملنا هذا ، نجد أن الانسان في فجر التاريخ قد حاول تقسيم انقضاء الوقت الى فترات يمكن حسابها . فالسومريون الذين عاشوا في بلاد ما بين النهرين حوالي ٥٠٠٠ قبل الميلاد ، قسموا السنة الى اثني عشر شهراً. ثم جاء البابليون فقسموا كل شهر الى ٢٩ يوماً ونصف اليوم . أما المصريون القدماء فقسموا السنة الى ٣٦٥ يوماً واليوم الى ٢٤ ساعة . ويعود الفضل الى الرومان في ادخال السنة الكبيسة ، فقد كانت السنة الرومانية ، منذ زمن بعيد ، تقسم الى ١٢ شهراً تختلف في طولها ، وكان عدد أيامها يبلغ ٣٥٥ يوماً ، أما الأيام العشر الباقية من السنة الشمسية ، فكانت تجمع لتكون شهراً آخر كان يسمى « مرسيدونيوس — Mercedonius » . وفي أيام الاضطرابات التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية ، في القرن الأول قبل الميلاد ، توقف ذلك النظام حين قرر « يوليوس قيصر — Julius Caesar » أن تكون احدى السنوات وهي سنة ٤٦ق.م،٤٤٥ يوماً ، ثم أعلن أنه منذ ذلك التاريخ يجب أن تكون السنة ٣٦٥ يوماً ، ويزاد يوم واحد كل أربع سنوات فتصبح ٣٦٦ يوماً ، وهي السنة الكبيسة التي نعرفها ، وبهذا التغيير البسيط تم التقويم اليولياني ، نسبة الى يوليوس قيصر ، المستخدم اليوم . وقبل التعديل الذي أدخله يوليوس قيصر كان شهر مارس هو أول شهور السنة ، وهذا يفسر لنا أسماء الشهور سبتمبر ، وأكتوبر ، ونوفمبر ، وديسمبر ، وهي السابع والثامن والتاسع والعاشر على الترتيب ، وفقاً لنظام الحساب الروماني . ثم جاء البابا « غريغوريوس الثالث عشر » عام ١٥٨٢ م ليدخل تعديله الأخير على التقويم اليولياني بزيادة سنة كل أربعة قرون أي أن السنوات القرنية لا تعد كبيسة إلا اذا قبلت القسمة على ٤٠٠ ، وبذلك التصحيح أصبح لدينا التقويم الغريغوري المنسوب الى غريغوريوس ، وهو الشائع الآن . والى جانب التقويم الغريغوري ، لدينا التقويم الهجري الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وبموجبه تتألف السنة الهجرية من ١٢ شهراً قمرياً ، أي ٣٥٤ يوماً شمسياً وسطياً ، وفي السنوات الكبيسة من ٣٥٥ يوماً .

واذا كان تقسيم انقضاء الزمن الى قرون ، وسنوات ، وشهور ، وأسابيع ، وأيام ، وساعات ، أمراً بالغ الأهمية في تاريخ الحضارة الانسانية ، فان ابتكار وسائل لقياس هذه الفترات الزمنية بدقة غدا أهم وألزم لتنظيم شؤون الانسان الحياتية . ففي تلك الأزمان السحيقة من تاريخ الانسان ، لم يكن اليوم المكون من ٢٤ ساعة بمثابة تسلسل ساعات ودقائق كعهدنا به الآن ، بل كان مجرد حين يتخلله نور الشمس من الشروق الى الغروب ثم يلفه الظلام الدامس . لذا اعتمد الانسان في محاولاته الأولى لقياس الزمن على تمدد الظل وتقلصه تحت تأثير ضوء الشمس خلال ساعات النهار ، فابتكر « المزولة الشمسية — « Sundial » التي يتحرك ظل الشمس عليها كتحرك عقرب الساعة ، فكانت تلك هي أول ساعة استخدمها الانسان في تاريخه الطويل . ولئن اختلف المؤرخون فيمن سبق الى اختراع المزولة ،فان



« ساعة المدفع » كما كان يطلق عليها في منتصف القرن الثامن عشر ، وهي محفوظة في متحف باريس ، فعند الساعة الثانية عشرة تمر أشعة الشمس من خلال العدسة المكبرة فتنطلق القذيفة من المدفع .



نموذج آخر لساعة المدفع التي كانت تستخدم في القرن الثامن عشر .

الاختراع في حد ذاته كان بمثابة الانطلاقة الأولى لمواصلة الانسان البحث عن وسائل أخرى أدق و أفضل . فمن قائل أن السومريين هم أول من استنبط الساعة الشمسية ، وهناك من يرجع الفضل في ابتكارها الى المصريين القدماء ، إذ عثر علماء الآثار في الحفريات التي أجروها في مواقع متعددة في مصر مؤخراً على أشكال مختلفة من المزاول المصرية . فما المسلات المشهورة التي أشادها المصريون القدماء أمام المعابد إلا شكلا من أشكال الساعات الشمسية . وفي العصور الوسطى أدخلت تحسينات جمة على المزاول الشمسية وخاصة المتنقلة منها ، اثر التقدم الواسع الذي أحرزته الانسانية في مجال علم الفلك الذي ضرب فيه العرب بسهم وافر . ولما كانت الساعات الشمسية تعتمد على ظهور الظل وهذا بدوره يعتمد على أشعة الشمس نهاراً ، فان الأحوال الجوية المتقلبة كانت تقف عائقاً دون الاستفادة استفادة كاملة من مثل هذه المزاول . لذلك اتجهت أنظار الانسان الى ايجاد وسائل أخرى لقياس الزمن فابتكر « الساعات المائية — Clepsydra » . والطريقة البدائية التي اتبعها الانسان في صنع هذه الساعة هي تعبئة الماء في اناء مدرج ذي ثقب صغير جداً في قعره ، يتسرب الماء من خلاله على فترات زمنية متساوية . فكان انخفاض منسوب الماء في الاناء يبين الساعات . أما الميزة الرئيسية للساعات المائية فتكمن في امكان استخدامها لقياس الوقت في الليل والنهار على عكس المزاول الشمسية التي تستخدم في ساعات النهار فقط ، كما أنه أصبح بالامكان قياس الفترات الزمنية القصيرة . وجدير بالذكر أن نوعاً نفيساً خاصاً من هذه الساعات المائية صنع للخليفة العباسي « هارون الرشيد » . كذلك صنع الفيلسوف الأغريقي « أفلاطون » لنفسه ساعة مائية تشتمل على « ناي » يصدر لحناً خاصاً كل ساعة من ساعات الليل . وقد راج استخدام تلك الساعات في العصور الوسطى في كل من آسيا وأوروبا . وعلى المبدأ الأساسي الذي تعمل بموجبه الساعات المائية ابتدع الصينيون نوعاً جديداً من الساعات أطلق عليه اسم الساعة النارية ، وهي عبارة عن جهاز يحتوي على شمعات ، من النوع الذي يحترق ببطء ، تحتها عدد من الخيوط مربوط في أطرافها أثقال ، فكلما أتت الشعلة على خيط سقط الثقل تلقائياً في طبق نحاسي محدثاً رنيناً يدل على عدد الساعات المنقضية . وكانت هذه الساعات علاوة على قياس مرور الوقت تستخدم



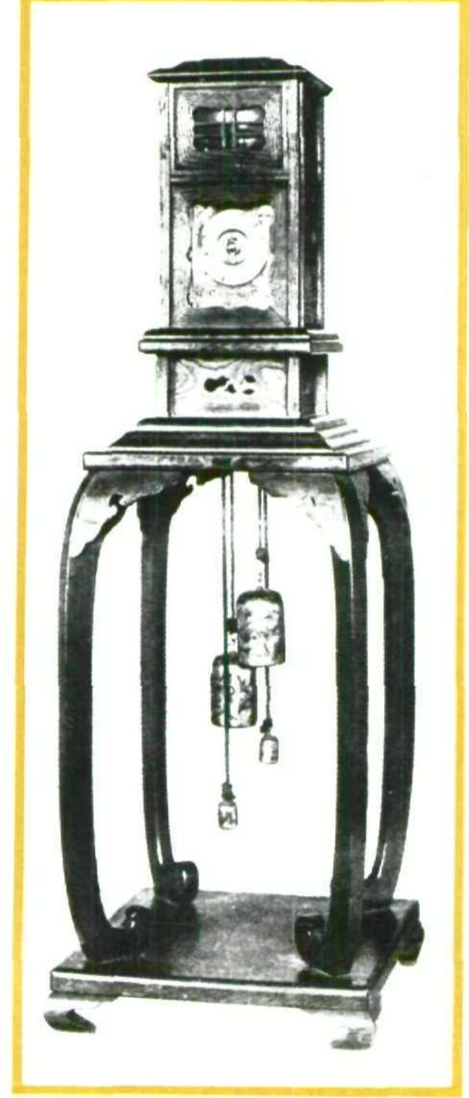
الساعة الفريدة في العالم التي تعطي الوقت القمري وقد تم تصميمها عام ١٩٧١ وفقاً للنظرية التي توصل اليها الدكتور كينيث فرانكلين .



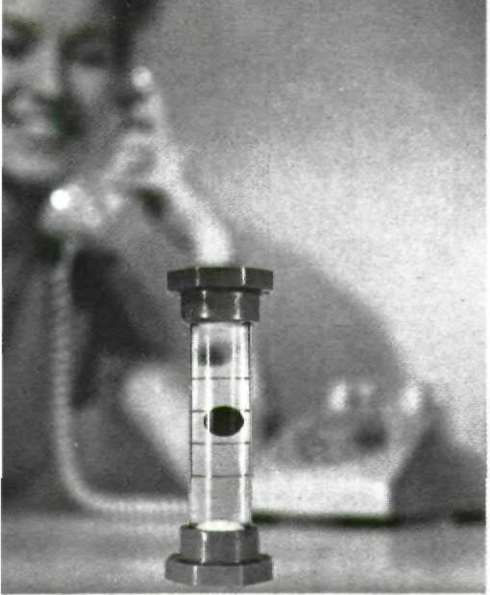
ساعة كهربائية تستمد طاقتها من جهاز خاص في حجم الزر الصغير .




أضخم ساعة تقويم في العالم ، وهي توجد في « مسينا » بصقلية ، ويبلغ طول قطرها أربعة أمتار .



ساعة آلية تعتمد حركتها على الأثقال الساقطة وهي تشبه المصباح في شكلها .



ساعة زجاجية عصرية موصولة بالهاتف تنبه المتحدث الى الوقت الذي استغرقته المكالمة الهاتفية للمسافات الطويلة .



آلة تصوير قمرية أستخدمت لتعيين موقع القمر بالنسبة للنجوم ولتحديد مقدار التردد الأساسي للساعات الذرية.

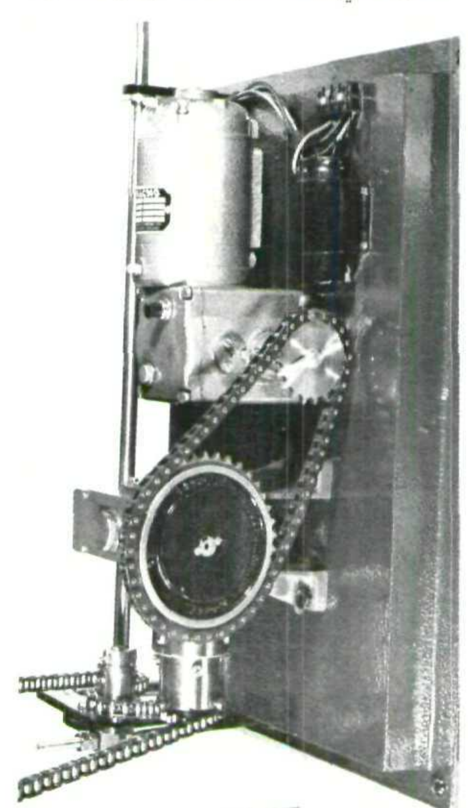
كساعات منبهة . وعلى غرار الساعة النارية الصينية ، استنبط الملك « الفرد الكبير — Alfred » (٨٤٩م — ٨٩٩م) ، ملك بريطانيا ساعة الشمعة ، وفيها تستخدم شمعة ذات أثلام على أبعاد متساوية ، فبينما الشمعة تحترق كان يمكن قياس مرور الوقت . ومن بين الساعات البدائية الأخرى المعروفة « الساعة الرملية — « Sand Clock » التي شاع استعمالها منذ أيام السيد المسيح عليه السلام ، وهي تعتمد في قياس الزمن على حركة انسياب الرمل وانتقاله من وعاء بيضوي الشكل الى آخر . وهكذا نرى أن الانسان استخدم عناصر الطبيعة كالشمس والماء والنار والرمل لقياس مرور الزمن . بيد أن التحول الكبير في هذا المجال تم إبان فجر الانقلاب الصناعي في أوروبا وعندما تمكن الانسان من اختراع أول ساعة آلية في عام ١٣٠٦ م ، وذلك عندما دقت ساعة برج روما معلنة الوقت . ولعل الأوروبيين قد اقتبسوا فكرة الساعة الآلية من الصينيين . وقد اعتمدت الحركة الميكانيكية للساعات على الأثقال الساطعة . وبلغت دقة الساعات التي سارت على ذلك المبدأ في تلك الفترة من تاريخ الانسان نحو ١٥ دقيقة في اليوم الواحد . أما الأجزاء الرئيسية التي كان يتألف منها جهاز الساعة

ساعة شمسية يبلغ طولها ٣٦ قدماً ، وهي أقدم وأضخم ساعة في العالم ، وتقوم في وسط حديقة القبة الفلكية الاصطناعية في « مورهيد » في الولايات المتحدة الأمريكية .



ساعة ثمينة يرجع تاريخها الى عام ١٥٧٠م تزدان بتماثيل اغريقية .

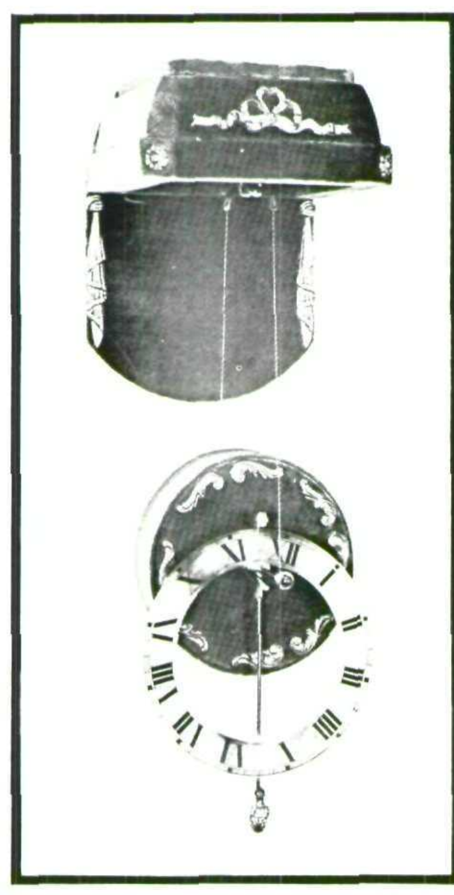
منظر أمامي لساعة فلكية ذات تروس وسلاسل .



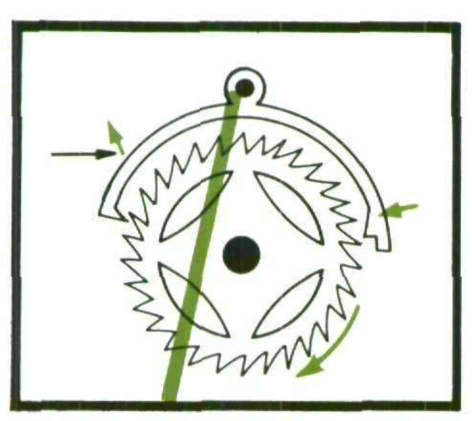
آنذاك فهي « عجلة موازنة دوارة — Rotating Balance Wheel » يسيرها ويضبط حركتها « جهاز المعايرة — Escapement » ، وهي في ذلك تماثل « ساعات الأبراج — Tower Clocks » التي شاع استعمالها في أرجاء أوروبا . والطريف في هذه الساعات أنها أخذت في التعقيد تدريجياً عن طريق اضافة وجوه وأقراص مدرجة عديدة يعين كل منها حدثاً خاصاً ، كالأعياد ومواقع الكواكب والبروج والنجوم الثابتة ، علاوة على تحديد انقضاء الساعات والأيام . وعلى الرغم من الدقة والاتقان وروعة التصميم وتعدد الأقراص التي اتسمت بها ساعات ذلك العصر ، فان مجرد عدم وجود عقارب للدقائق والثواني حتى على أجمل ساعات القرن السادس عشر شكلا وأدقها صنعاً ، كان بمثابة نقطة سوداء في جهاز الساعات الآلي .

بيد أن ذلك النقص لم يلبث أن اختفى حين تم اختراع رقاص الساعة ، الذي يعود الفضل في ايجاده الى العرب ، الذين ضبطوا حركاته ونظموا ذبذباته ، ومن ثم انتقل الى أوروبا وأحدث تغيراً جذرياً في حقل صنع الساعات . ومع أن الفنان العبقري « ليوناردو دافنشي — Leonardo da Vinci » أثبت رسماً تخطيطياً لـ « رقاص الساعة — Pendulum » في احدى مخطوطاته ، إلا أنه كان كمن عثر على جوهرة ثمينة ولم يعرف قيمتها الحقيقية ، فهو لم يقف على مزيتها الأساسية وهي أن مدة التذبذب مستقلة عن وزن الرقاص والقوس التي تتحرك ضمنها ، الى أن جاء العالم الفلكي المشهور « غاليليو غاليلي — Galileo Galilei » الذي لاحظ تذبذب الثريات المعلقة في سقف كاتدرائية « بيزا — Pisa » تحت تأثير النسمات الخفيفة ، فأوحت اليه حقيقة علمية مهمة وهي أن فترة التذبذب مستقلة عن درجة التذبذب ، وراح يدرس هذه المسألة ويضع المعادلات الرياضية لحركة رقاص الساعة ، ثم نشر نتائج أبحاثه عام ١٦٣٢ . وبعد وفاته صنع ابنه « فنشنزيو غاليلي — Vincenzio Galilei » نموذجاً لرقاص الساعة وجهاز المعايرة لضبط حركة الساعة .

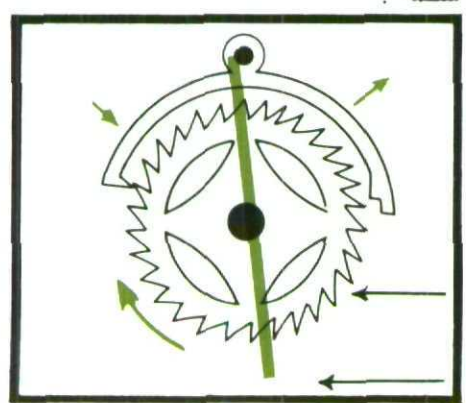
أما أول ساعة تعمل برقاص فقد صممها وصنعها العالم الفيزيائي الهولندي « كرستيان هيجنز — Christian Huygens » عام ١٦٥٧م ، وهو المشهور بالنظرية الموجية للضوء . ومنذ ذلك الحين أخذت التحسينات



تقليد لساعة مائية من القرن السابع عشر .



الحركة الميكانيكية لجهاز المعايرة في الساعة تقوم بضبط حركة عجلة الموازنة وتمد الرقاص بنبضات منتظمة .



على رقاص الساعة تتوالى ، من حيث المادة المعدنية التي يصنع منها الرقاص ، ومدى تأثرها بارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها ، وطول وقصر الرقاص ، والثقل المثبت في طرفه ، الى غير ذلك من أجزاء الساعة ، وخاصة جهاز المعايرة لضبط حركة الساعة الذي يعتبر بمثابة القلب النابض لها . ثم جاء عالم آخر أحدث اختراعه لنابض الموازنة – Balance Spring » في الربع الأخير من القرن السابع عشر انقلاباً في فن صناعة الساعات ، ذلك هو العالم الفيزيائي « روبرت هوك – Robert Hooke » الذي اشتهر بقوانين النوابض – Spring Laws » في الفيزياء ، وبذلك الاختراع أصبح بالامكان صناعة ساعات دقيقة يمكن حملها . واستمر استخدام هذه الساعات نحو ٣٠٠ سنة أي حتى ظهور الساعة الكهربائية التي أخذت تطغى على الساعة ذات الرقاص .

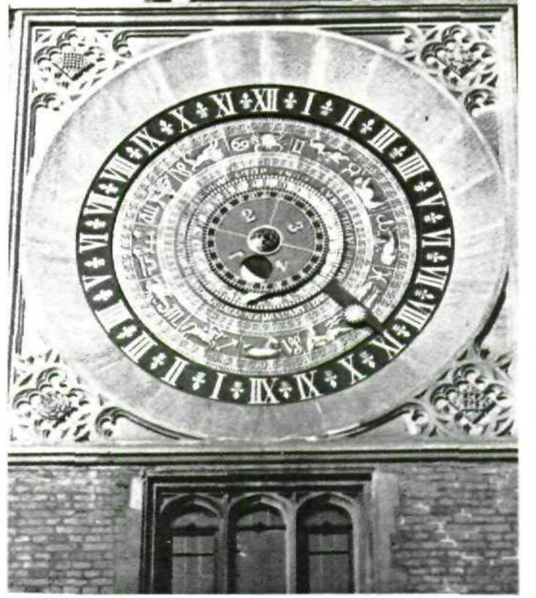
وفي الستينات من هذا القرن ظهرت الساعة الرقمية ذات الدائرة الكهربائية الدقيقة التي استخدمت في الحاسبات الألكترونية ، وهذه بدورها طغت على الساعات الآلية وحلت محلها . ولعل « ساعات الكوارتز –Quartz Clocks » الحديثة التي تنظم حركتها دائرة كهربائية دقيقة تجعل منها عقلا الكترونياً لاعطاء الوقت هي الآن في طليعة الساعات العصرية ، فبلورات الكوارتز « المرو » ذات حساسية عالية للكهرباء ، إذ تتذبذب بدقة مذهلة ، تبلغ الجزء من الألف من الثانية .

أما في الوقت الحاضر فان صناعة الساعات تخضع لنوعين من التكنولوجيا ، كل منهما يسعى الى احراز قصب السبق في الوصول الى تطوير نوع من الساعات خال من العقارب والأقراص المدرجة التقليدية . ويعتمد النوع الأول من تكنولوجيا صناعة الساعات الحديثة التي أخذت تظهر في الأسواق على استخدام البلورات السائلة – Liquid Crystals »



ساعة أوتوماتيكية على شكل فيل تتحرك عيناه مع كل تكة .

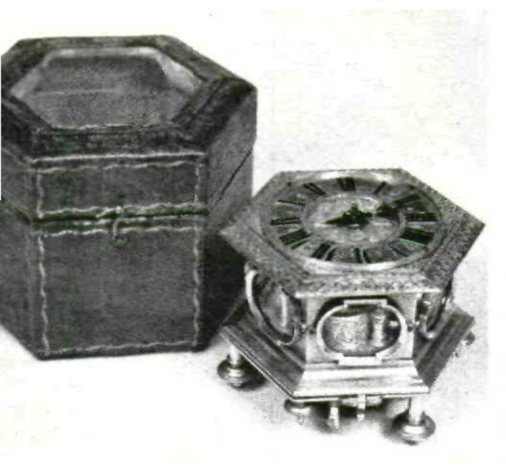
على ضفة نهر التيمز شمالي لندن تقوم ساعة فلكة عمرها ٤٠٠ سنة ، وهي في الواقع سبع ساعات في ساعة واحدة ، فبالاضافة الى اعطاء الوقت تبين التاريخ ، والشهر ، وعدد الأيام التي انقضت من السنة منذ بدايتها ، وأطوار القمر .



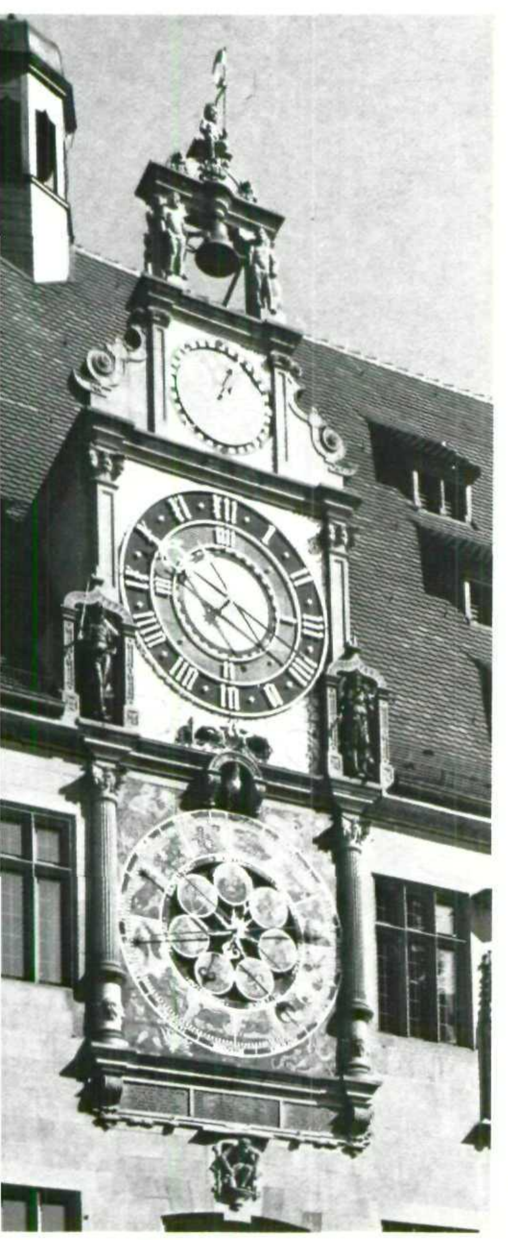
ساعة رقمية تتحكم فيها اشارات راديوية تصدر عن قمر صناعي فوق خط الاستواء .




ساعة دقيقة الصنع من المانيا يعود تاريخها الى عام ١٧٠٠م .



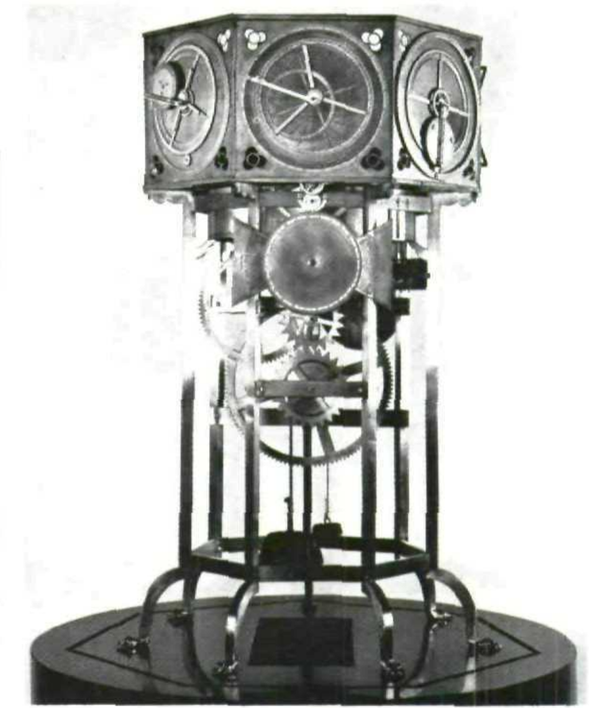
ساعة شمسية قام بتصميمها مهندس من مدينة « بيتجهايم » في جمهورية المانيا الاتحادية وهي تبلغ من الدقة في قياس الوقت حتى الثانية .



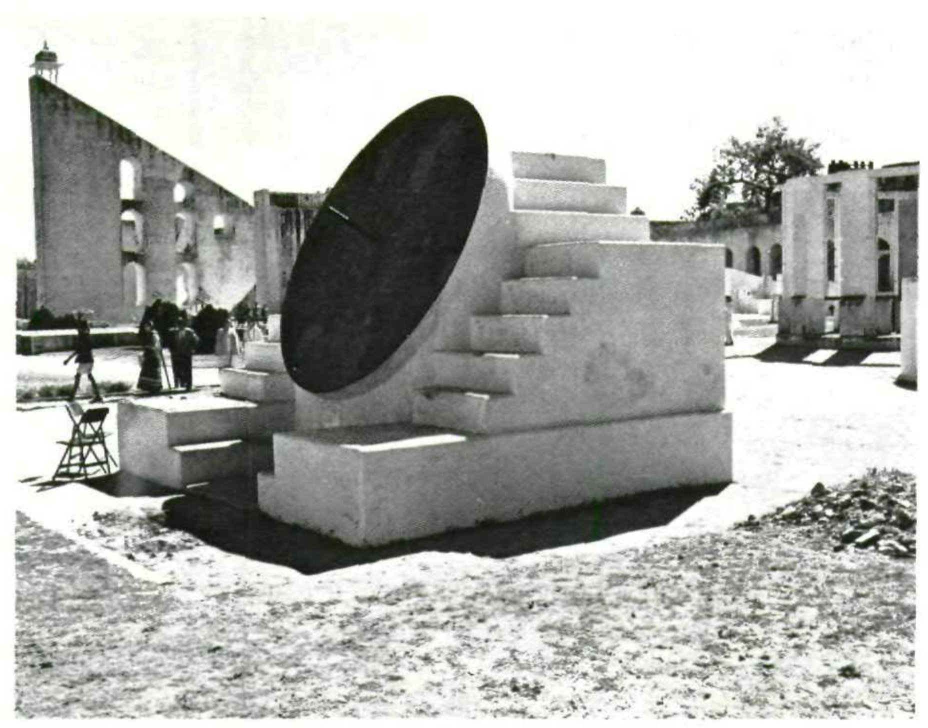
كانت الساعات في العصور الوسطى مظهراً من مظاهر الترف والأبهة ، وهذه ساعة في المانيا تزدان بصور الحيوانات التي تبين شهور السنة .

لتحل محل العقارب والوجوه المدرجة . فقد اكتشف العلماء مؤخراً أن بعض العناصر الكيميائية وتسمى البلورات السائلة يتحول لونها الى الأبيض اللبني على درجات حرارة معينة ، ولذا رأوا فيها مادة ملائمة لاستخدامها في تعيين درجات الحرارة . بيد أن هناك نوعاً آخر من البلور السائل الذي يتحول الى اللون الداكن اذا ما وقع تحت تأثير مجال كهربائي . هذه الخاصية التي يتمتع بها البلور السائل جعلت من الممكن تسخيره في صناعة الساعات الألكترونية ، وذلك بوضع مادة البلور السائل بين شريحتين من الزجاج متوازيتين ، يطلى السطح الداخلي لكل منهما بطلاء قصديري خفيف لا تراه العين ، ثم يجري تقسيمه الى قطاعات على نحو معين لتتشكل الأرقام المضيئة داخلها بتأثير التيار الكهربائي .

أما النوع الثاني من تكنولوجيا صناعة الساعات الألكترونية فيعتمد على استخدام الصمامات الثنائية ذات الاشعاع الضوئي الكهربائي — Electroluminescent Diodes في تشكيل الأرقام داخل الساعة ، كما هي



نسخة طبق الأصل لأقدم ساعة آلية عرفها الانسان ويرجع تاريخها الى عام ١٣٦٤م .



نموذج لمزولة شمسية مقامة في الهند .



في الساحة العامة في مدينة « لامبور » في الملايو تقوم ساعة شمسية كالهلال في شكلها ، ويستطيع زوار المدينة قراءة الوقت بوضوح في الأيام المشمسة .

تصوير : « أوثنتيكيتد نيوز انترناشونال »

الحال في « حاسبات الجيب الألكترونية — Pocket Calculators » الشائعة اليوم . وهذا النوع من الساعات لا يزال يخضع للتحسين سيما وأنه يستهلك قدراً أكبر من الطاقة ، وأن الأرقام تبدو صغيرة الحجم الى الحد الذي يصعب قراءتها في ساعات النهار .

أما أحدث ابتكار في مجال صناعة الساعات وقياس الوقت فهو ساعة السيزيوم الذرية التي تعتمد على خاصية الاهتزازات الطفيفة التي تحدثها ذرات عنصر السيزيوم . ومع أن هذه الساعة تخلو من الأجزاء المتحركة إلا أن دقتها في قياس الوقت تبلغ ثانية واحدة في كل ٣٠٠٠ سنة . وللدقة البالغة في قياس الوقت التي تتمتع بها هذه الساعة فقد استخدمت لاثبات صحة نظرية النسبية — Theory of Relativity » للعالم المشهور « ألبرت اينشتاين » حينما وضعت ساعة ذرية في كل من طائرتين نفاثتين انطلقتا في اتجاهين متعاكسين .

وهكذا نرى أنه أصبح لدى الانسان ساعات متطورة فائقة الدقة في قياس الوقت . ومع ذلك ليس هناك من يستطيع التكهن بما ستؤول اليه ساعة المستقبل ●

سليمان نصر الله — هيئة التحرير



# مظاهر الطبيعة في شعر أبي تمام

ع. قباني

بقلم: الدكتور أحمد الحوفي

كان أبو تمام حبيب بن أوس الطائي شاعراً موهوباً ، مرهف الحس ، فوار العاطفة ، جياش النفس ، دقيق الملاحظة ، بعيد الخيال ، قديراً على التعبير عن فكره وعلى تصوير ما يجول بنفسه .

ويبدو من دراسة شعره انه اقتدى في التصوير البياني ببشار بن برد ، ومسلم بن الوليد ، والحسن بن هانيء ، وان كان اعجابه بأبي نواس أعظم ، حتى انه كان يلقبه بالاستاذ وبالحاذق .

وإذا كان قد جاراه في طريقته البيانية فانه قد فاقه في وصف الطبيعة والحكمة والمديح والرثاء .

ابو تمام اذن احد شعرائنا القلة الذين استهوتهم مظاهر الطبيعة في السماء وفي الأرض ، فوصفوها ، واستمدوا منها الصور والألوان .

ويظهر انه كان يربأ بحياته ان تكون محصورة في العمل والكسب والطعام والشراب والراحة والنوم بل أراد ان تكون فوق هذا كله جمالاً ومسرة ونشوة ، ففي اخباره انه كان يأخذ صلات الأمراء والكبراء فينفقها في مجالي الغناء والموسيقى ، والرياض والأوجه الحسان .

ولو انه وجه شاعريته إلى الطبيعة يصفها ويناجيها ويستلهمها ، وإلى النفوس يستكنهها ويناغيها ويرسمها ، وإلى الحكمة المتفلسفة يستنزلها من عليائها فيعرضها في أسلوب اخاذ ، لو أنه فعل ذلك لاثرى الشعر أيما ثراء . لكنه انصرف إلى المدح انصرافاً لم يتح له الفراغ لذلك كله ، ولا الفراغ لبعض ذلك كله ، فخسر الأدب العربي خسارة جسيمة .

لهذا نجد الوصف في شعره تمهيداً لغرض ، أو ممتزجاً بغرض ، فلم يختص الطبيعة بقصائد مستقلة الا في حالتين ، ولو انه أفرد لوصفها قصائد مستقلة لأتى بالعجيب الرائع .

## وصف المطر

استفتح أبو تمام قصيدته في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة بوصف لمظهر طبيعي طالما رأته عيناه هو المطر ، لا بالغزل ولا ببكاء الاطلال كما صنع في بعض مدائحه ، وكما صنع كثير من سابقيه ومعاصريه ولاحقيه .

وهو في وصفه للمطر يبدأ بما راعه من منظره العام ومن آثاره المرتقبة ، فيقول انه مطر غزير انهمر أياماً من سحابة ثرية بالماء ، سخية على الثرى ، وان الثرى ظمآن اليها مستغيث بها ، لأن آثارها في احياء الجديب معهودة ، حتى انه لو كان في طاقة ارض ان تسعى شكراً لنعمة وتقديراً لجميل لسعى المكان المقفر نحو هذه السحابة الثّرة .

ثم وصف دفقات السحابة بالعذوبة والصفاء وارواء العطاش ، فلو استطاعت قلوبهم ان تنشط لعناقها لفعلت .

وانتقل من هذا التعميم إلى وصف المطر نفسه ، فقال ان بعضه يجري على الأرض ، وبعضه يتبعه فيجري وراءه ، ودفقات منه تتراكم في الجو ، ودفقات أخرى تنصب على الأرض . ثم انتقل إلى نتيجة المطر وآثاره ، فصور الزرع مخضراً ، والنبات رفّافاً والرياض نواضر ، والجدب قد احتجب وتوارى .

ومن الطبيعي أن يرحب أبو تمام بهذا الغيث رائحاً وغادياً ، ومصباً بالنهار او بالليل ، لأنه ينبوع الحياة والجمال في تلك البقاع .

وقد لجأ إلى التشخيص اذ تصور الرياض التي كانت قبل المطر قبيحة متوارية فصارت بعده مزهرة جميلة بادية اناساً كانوا يستخفون ويغطون رؤوسهم ووجوههم ثم كشفوا عنها ، وتصور الجديب

انساناً يتوارى وخجلاً ، وتصور الثرى انساناً يستغيث بالسحابة لتصب عليه ماءها :

**ديمـــة سمحة القيـــاد سكـــوب**
**مستغيث بهـــا الــثرى المكــروب (١)**
**لـــو سعت بقعـــة لاعظام نعمى**
**لسعـى نحوهـــا المكان الجـديب**
**لـــذّ شؤبوبها وطاب فلـو تستطيع قامت تعانقهـا القلـوب (٢)**
**فهي مـــاء يجري ومـــاء يليـــه**
**وعـــزالي تنشا وأخـــرى تـــذوب (٣)**
**كشف الروض رأسه واستسرّ المحـــل منها كما استسرّ المريب**
**فـــاذا الــري بعد محــل وجـرجـــا**
**ن لـــديهـــا يـــبرين أو ملحـــوب (٤)**
**ايهـــا الغيث حـــيّ اهـلاً بمغـدا**
**ك وعنـــد السّرى وحـــين تـــؤب (٥)**

ووصف المزن في قصيدة أخرى بأنه اذا ما لمع برقه بشر الناس صادقاً بالمطر فأروى التلاع العطاش وكساها نباتاً وخضرة ، وانقذها من الجدب والفقر ، لأنه كريم اذا ما استضاف بلدة اكرم ضيافتها بدفقاته المنسكبة . ولقد استغاثت به الفلاة الحرى التي انشق اديمها ، فجادها فالتأمت شقوقها ، واستوى اديمها ، وحسن منظرها .

وهذا المزن ساقته ريح الجنوب حاملا الخيرات للناس ، وزودته بالماء ، واغرته بالأمطار ريح الدبور ، أما ريح القبول (٦) فقد رهبته ولم تهب تجاهه ، وأما ريح الشمال فقد تجنبته ، ولهذا دام طويلا ، لأنها لو هبت عليه لفرقته . :

**مـــزن اذا مـــا استطار بارقـــه**
**اعطـى البـلاد الامـــان مـــن كذبه**
**يـــرجـــع حرّى البـلاد مـــترعـــة**
**ريّـــا ويثني الزمـــان عـــن نوبـــه**
**مـــتى يضـــف بلـــدة فقد قـــريت**
**بمستهـل الشؤبـــوب منسكبـــه (٧)**
**عـــاذت صـــدوع الفـلا بـــه ولقـــد**
**صـــحّ اديـــم الفضـــاء مـــن جلبـــه (٨)**
**قـــد حلبته الجنوب فالـــدين والدنيـــا وصافي الحياة في سلبه**
**وحـــرّشته الـــدبـــور واجتنبـت**
**ريـــح القبـول الهبوب مـــن رهبه (٩)**
**وغادرت وجهـــه الشمـــال فقـــل**
**لا في نـــزور النـــدّى ولا حقبـــه (١٠)**

وهكذا فعل في ارجوزته التي مطلعها : لم ار عيراً جمه الدؤوب ، وفي ارجوزته التي أولها : **حماد من نوئله حماد .**

## الربيـــع

ولقد احتفى ابو تمام بالربيع ، فرسم له صوراً عدة . ففي احدى مدائحه للمعتصم انتهز ان الزمان ربيع ، فصور الطبيعة تصويراً جميلاً خلاباً ، أعجبه من مناظر الربيع ما تتحلى به الأرض من خضرة ونضرة وزهر وثمر ، وان النهار مشمس ، والربا مكسوة بالازهار البيض كالأقمار .

والعام في نظره زمان للكد والعمل والكسب ، فاذا استهل الربيع صار زمنه مسرحاً للجمال ، ومتعة للنفوس ، لأن الأرض تصنع من بطونها لظهورها ازهاراً تتفتح القلوب لجمالها ، فكم من زهرة يترقرق الندى فوقها كأنه دمع منحدر ، وهذا تشبيه غير جيد ، لأن وقع المشبه به وهو الدمع لا يلائم وقع المشبه وهو الندى فوق الزهر ، وذلك ان الندى الذي يترقرق على الزهر او على أوراق الشجر يبعث اعجاباً ومتعة ومسرة ، على حين ان منظر الدموع يثير ضيقاً واشفاقاً وقد يسيل عبرة .

ثمّ وصف الزهرات بأنها تتحرك أمام النبات فتبدو حيناً وتختفي حيناً ، وشبهها بالعذراء التي تظهر تارة ، ويحجبها الحياء تارة .

وبعد هذا ، وصف الوهاد والنجاد بأنها اكتست وازدانت فبدت في صفرة وفي حمرة كأنها رايات اليمن الصفر ورايات مضر الحمر .

وفصّل ما أجمله في ألوانها فقال انها كانت كالدر وهي اكمام قبل ان تنوّر ، فلما تفتحت الأكمام خرج نور أصفر كالزعفران ، ونور أحمر ، وهذا كله من صنع الله البارىء القدير الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه :

**يـــا صـــاحبّي تقصّيـــا نظريكمـــا**
**تـــريا وجـــوه الارض كيف تصوّر**
**تـــريا نهـــاراً مشمساً قـــد شابـــه**
**زهـــر الربـــا فكأنمـــا هو مقمر**
**دنيـــا معـــاش للـــورى حتى إذا**
**جُلـــي الـــربيـــع فانمـــا هي منظـــر**
**أضحت تصـــوغ بطونهـــا لظهـــورهـــا**
**نـــوراً تكاد لـــه القلوب تنـــوّر**
**مـــن كل زاهـــرة ترقرق بالـــندى**
**فكأنمـــا عـــين عليـــه تحـــدّر**
**تبـــدو ويحجبهـــا الجميم كأنهـــا**
**عـــذراء تبـــدو تـــارة وتخفـــر (١١)**
**حـــتى غـــدت وهداتهـــا ونجادهـــا**
**فئتـــين في خلـــع الـــربيع تبخـــتر**
**مصفـــرة محمـــرّة فكأنهـــا**
**عصب تيمـــن في الـــوغى وتمضّر (١٢)**

---

(١) ديمة : مطر يدوم أياماً أو سحابة ممطرة . (٢) الشؤبوب : الدفقة من المطر . (٣) العزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الرواية والمراد المصاب . (٤) يرين وملحوب : مكانان موصوفان بكثرة العشب والكلأ والخصب والوحش . (٥) حي : اقبل . (٦) الدبور : ريح تقابل الصبا . والقبول : ريح الصبا . الصبا : تهب من مشرق الشمس اذا استوى الليل والنهار . (٧) متى يضف : متى يستضيف أو متى ينزل ضيفاً . مستهل : فيه رعد . (٨) الجلب : الآثار في ظهر البعير . (٩) حرشته : أغرته بالأمطار . (١٠) حقبه : متأخرة . (١١) الجميم : النبات الكثيف . (١٢) عصب تيمن وتمضر : رايات يمنية ومضرية .

**مـــن فـــاقـــع غضّ النبات كأنـــــه**
**درّ يشقّق قبـــلُ ثم يـــزغفـــــــــــر**
**او ساطـــع في حمـرة فكـأن مـــا**
**يـــدنـــو اليـــه مـــن الهـــواء معصفر**
**صنـــع الـــذي لولا بـــدائـــع لطفـــه**
**مـــا عـــــاد اصفر بعد اذ هـــو اخضر**

وله أبيات في وصف الربيع مطلعها :

**احسن بـــايـــام العقيـــق وأطيـــب**
**والعيش فـــي اظلالهـــــن المعجـــب**

على ان مظاهر الطبيعة كانت تملأ نفسه ، فلهج بها اراد اولم يرد في مديحه وفي غزله وفي فخره وفي وصفه . وحسبنا ان نجتزيء ببضعة نماذج . ففي مدحة من مدائحه لمحمد بن عبدالملك الزيات انه أجرى في كل مرتفع نهراً سلسلاً من فيض كفيه ، وان عطاءه مناجم نال الناس من معادنها ، وانهم بنوا حصوناً في ظلاله ، وانه احيا آمالهم فاخضرت وماست غصونها . والاستمداد من الطبيعة بين في هذه الكلمات : تلعة ، جعفر ، سلسل ، معدن ، ظلال ، غصون ، خضر :

**أبـــا جعفـــر اجـــريت في كل تلعـــة**
**لنا جعفـــزاً من فيض كفيك سلسلا (١٣)**
**فكـــــم قـــــد اثرنا مـــن نوالك معدنـــا**
**وكـــم قـــد بنينـــا في ظلالك معقـــلا**
**رجعت المـــــنى خضراً تثنّـــى غصونهـــا**
**علينـــــا واطلقت الـــرجـــــاء المكبّلا**

وفي غزله استخدم من الطبيعة هذه الكلمات : خضرة ، الروض ، الزهر ، الشباب ، الماء ، العيون ، التفاح ، في قوله :

**يـــا هـــــذه اقصري مـــــا هـــذه بشر**
**ولا الخـــرائد مـــن اترابهـــا الأخـــــــر**
**خـــرجـــن في خضرة كالروض ليس لهـــــا**
**الا الحليّ على اعناقهـــــا زهـــــــر**
**صبّ الشباب عليهـــــا وهو مقتبـــل**
**مـــــاء مـــن الحسن ما في صفوه كـــدر**
**لـــولا العيـــون وتفـــــاح الخـــدود اذاً**
**مـــــا كان يحســـد اعمى من لـــــه بصر**

وفي فخره بحسبه في قبيلة طيء ، وفي زهوه بشعره وردت كلمات من الطبيعة هي : نجوم ، جبال ، غيوث ، سيول ، محل ، فيض ، وكر ، طيّر ، في قوله :

**أنـــــا ابـــن الذين استرضع الجود فيهـــم**
**وسمّي فيهـــم وهو كهـــل ويافـــع**
**نجـــــوم طواليـــــع جبـــال فوارع**
**غيـــوث هواميـــع سيول دوافـــــع**
**فـــأي يد في المحـــل مدت فلم يكـــن**
**لهـــــا راحـــة مـــن جودهـــم واصابـــع**
**بهـــــا ليل لـــو عاينت فضـــل اكفهـــم**
**لأيقنت ان الرزق في الارض واســـع**
**فكـــم شاعـــر قـــد رامني فقذعتـــه**
**بشعري فأمسى وهـــو خزيـــان ضارع (١٤)**

**كشفت قناع الشعر عـــــن حـــرّ وجهـــه**
**فطيّرتـــه عـــــن وكـــره وهـــو واقع**

وفي وصفه غير الطبيعة استمد من الطبيعة ، فجاء في وصفه للقلم الكلى ، والمفاصل ، ولعاب الأفاعي ، وعسل النحل ، والطل ، والوابل ، والشعاب الحوافل وغيرها :

**لك القلـــم الاعلـــى الـــذي بشباتـــه**
**تصاب مـــن الامر الكلى والمفاصـــل (١٥)**
**لعـــاب الأفـــــاعي القاتـــلات لعـــابـــه**
**وأريُ الجـــنى اشتارتـــه ايـــد عواسل (١٦)**
**لـــــه ريقـــــة طـــل ولكـــــن وقعها**
**بآثاره في الشرق والغـــــرب وابـــل (١٧)**
**فصيـــــح اذا استنطقته وهـــــو راكب**
**واعجـــــم ان خاطبتـــــه وهو راجـــل (١٨)**
**اذا مـــــا امتطى الخمس اللطاف وافرغت**
**عليـــــه شعاب الفكـــر وهي حوافـــل**
**اطاعته اطـــراف القنـــــا وتقـــوضـــت**
**لنجـــــواه تقويض الخيام الجحافـــل (١٩)**

على انه لم يكتف بالاستمداد من الطبيعة صوراً او الفاظاً ، بل انه كثيراً ما كان يجانس بين كلمة من الطبيعة وكلمة من غيرها ، كقوله :

**سحاب مـــتى يســـحب على النبـــت ذيله**
**فلا رجـــل ينبو عليـــه ولا جعـــــــد**

وكثيراً ما كان يطابق بذكر الضدين ليزيد الفكرة وضوحاً وتأثيراً في النفس كقوله في وصف سحابة :

**سيـــارة مسمحـــــــــة القيـــــــــاد**
**مسوّدة مبيضّـــة الايـــــــــــادي**

وقد يوازن بين ممدوحه والغيث ، فيفضل الممدوح ، لأن الغيث الذي نزل في ذلك الوقت عجيب اذ كان في غير أوانه ، فنفع الناس ، أما الممدوح فأعجب ، لأنه يعطي في كل أوان ، ولأن الممدوح يهش وهو يعطي غير عابيء بكوارث الدهر ، لأن كرمه بلسم لها :

**ايهـــا الغيث حي اهـــلاً بمغداك وعند السّرى وحين تـــؤوب**
**لابـــي جعفر خلائق تحكيهـــن قـــد يشبه النجيب النجيب**
**انت فينـــــا في ذا الأوان غـــريب**
**وهـــــو فينـــا في كل وقت غـــريب**
**ضاحـــك في نـــوائب الـــدهـــر طلـــق**
**وملـــوك يبكـــون حـــين تنـــوب**
**خلـــــق مشرق ورأيٌ حســـام**
**ووداد عـــــذب وريـــح جنـــوب**

لكن كلفه بالصور ، وشغفه بالتشبيه والاستعارة والكتابة والخيال لا يسلكه في عداد شعراء الرمزية ، وان كانت الاستعارة والكتابة من الرمز ، لأن شعراء الرمزية يرمزون إلى حالات النفوس بألفاظ وعبارات واشياء مادية ، غير واصلين بعلاقة ما بين الرموز وما ترمز اليه ، معتمدين على خيال القاريء واحلامه وهواجس نفسه ، ولم يكن أبو تمام على شيء من هذا المذهب الذي ظهر في الغرب في العصر الحديث ●

د. أحمد الحوفي — القاهرة

---

(١٣) جعفر : نهر كثير الماء . سلسل : سائغ . (١٤) قذعته : هجوته . ضارع : ذليل . (١٥) شباته : حده وسنه . الكلى والمفاصل : كناية عن الجوهر من المعاني . (١٦) الارى : عسل النحل . الجني : الثمار . اشتارته : جنته عواسل : جانية للعسل . (١٧) رنقة : مداد . طل : المراد مداد قليل . وابل : مطر غزير . (١٨) راجل : ضد راكب . (١٩) الجحافل : جمع جحفل وهو الجيش .

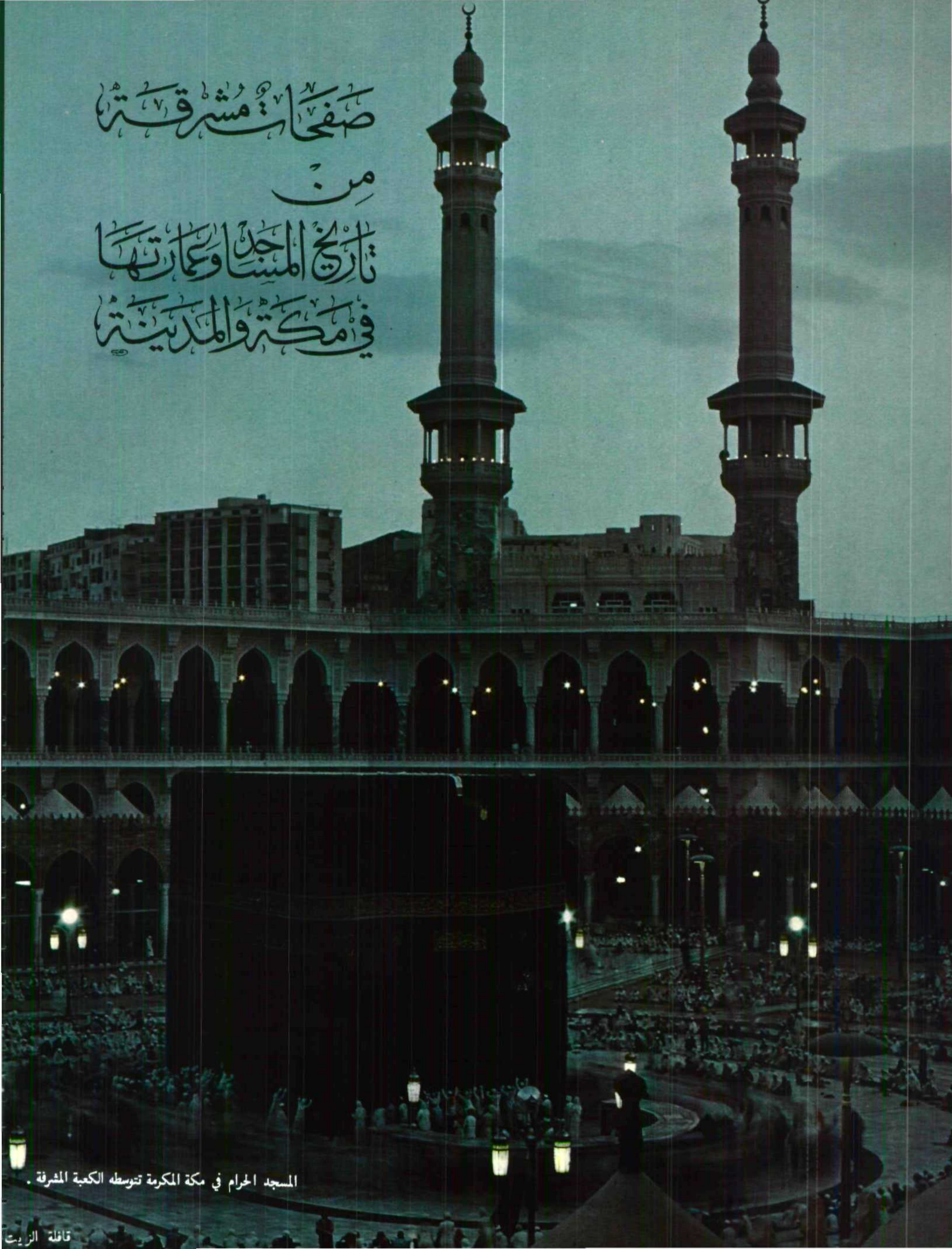
# الخرافة واليقين

للشاعر: محمود عارف

قالوا هنا ماذا وجَدْ   تُ فقلتُ .. وهمٌ مستبين ؟؟
قد ران فوقَ وجودنا   وكأنَه عبَثُ السنين !
وتطاولَت أشباحُه   فوق المعابرِ .. لا تَبين !!
ماذا نقولُ وقد دُهشنا   للرَّبيب .. المستعين ؟؟
قبل المخاضِ .. وبعدَه   عاشَ المواجعَ .. والظّنون !
وتعاورَتْه مخاوفٌ   والخوفُ مزدجِرُ الغبين !
يحْيا على قلقِ الخرا   فَةِ .. والتخبُّط في الشؤون !
ما خطبُه .. ضاع المرا   سُ .. مِن الرجالِ القادرين ؟؟
وتعطَّلت خططُ التنا   سقِ .. في بنُودِ الحاسبين !
وتبلَّدت لغةُ التفا   هُمِ .. في اللسان وفي الوتين !!
لم يبْقَ إلا الوهمُ والمخْ   وعُ .. في دنْيا الشّجون !
صبْحُ الرجاء ، أحاطه   ليلٌ ، تغلَّفَ بالأنين !!
ويلٌ لمن عبثَت به   ريحُ التندُّر ، والفتون !!
ويل لمن جرفته عدو   ى ، الحالمين التائهين !!
قد ضاعَ معيارُ الطمُو   حِ .. وجفَّ شلالُ الحنين !
وعلى بساطِ الموْج ضا   عَت ، أمنياتُ السابحين !
والخوفُ .. يكمُن في الأَواذي   والعبورُ هو اليقين !!!

محمود عارف – جدة

# صفحات مشرقة من تاريخ المساجد وعمارتها في مكة والمدينة



المسجد الحرام في مكة المكرمة تتوسطه الكعبة المشرفة .

المساجد الأثرية في الحجاز شواهد على بدء الرسالة المحمدية والدعوة الاسلامية التي ملأت الأرض بخيرها وعدلها . واذا كانت هذه المساجد الأثرية ، معدودة في جنوبي الحجاز ، فهي في الشمال ، وخاصة في المدينة المنورة وضواحيها ، كثيرة وعديدة . ولا غرو في ذلك ، فمدينة الرسول الكريم كانت العاصمة الأولى للاسلام ومنها انطلق المسلمون الأوائل الى مشارق الأرض ومغاربها ينشرون الدين الاسلامي الحنيف ويرفعون لواءه عالياً خفاقاً فوق ربوعها . ومن المدينة المنورة ذاتها انطلق الرسول الكريم ، في صحبة الأبطال ، الى مكة المكرمة . . يفتحها ويطهرها من الشرك والمشركين . « **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون** » (١) . ولقد جعل الله الكعبة المشرفة أول بيت عبادة على الأرض « **ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين** ». (٢) . فكان الناس ، وسيظلون الى ما شاء الله ، يعبدون خالقهم جل شأنه في ذلك البيت العتيق ، وفي سائر بيوت الله ، ويسألونه العفو والعافية والنجاة وهم في صلاتهم وطوافهم حول الكعبة المشرفة « **ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق** » (٣) .

وعندما أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ببناء البيت العتيق استجاب ابراهيم وولده اسماعيل ، عليهما السلام ، لأمر الله ، وأخذا في بناء الكعبة وهما يدعوان الله أن يتقبل منهما عملهما « **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم** » (٤) .

وقد ظلت الكعبة المشرفة بعد ذلك بناء قائماً في ساحة فضاء من أرض مكة المكرمة لا يجرؤ أحد على البناء قريباً منها تعظيماً لها واجلالا ، حتى آل أمر مكة الى قصي بن كلاب فسمح للناس بالبناء حول البيت فأقاموا منازلهم حوله آخذين في اعتبارهم أموراً ثلاثة : أن تكون بين منازلهم والبيت الحرام ممرات توصل الى دائرة الطواف حول الكعبة ، وأن تكون منازلهم دائرية الشكل تختلف عن بناء الكعبة المربع ، وأن يكون ارتفاع تلك المنازل دون ارتفاع بناء الكعبة . ومع الزمن ازداد عدد المنازل حول البيت العتيق ، وصار لا يفصله عنها سور خاص ولا جدار وانما كانت جدران المنازل من حوله بمثابة الأسوار الخاصة له ، وكانت الممرات التي بين المنازل ، المفضية الى البيت الحرام ، بمثابة مداخل اليه .

ومما يذكره المؤرخون في شأن ترميم الكعبة واصلاحها بعد بناء سيدنا ابراهيم ، عليه السلام ، أن سيلا عظيماً قد أصاب الكعبة في أيام قريش فهدمها ، وكان الرسول محمد ، صلى الله عليه وسلم ، في الخامسة والثلاثين من العمر ، وأن قريشاً قد اجتمعت لبنائها واتفقت على عمارتها ، وانهم « لما انتهوا الى موضع الحجر اختصموا وأراد كل قوم أن يكونوا هم الذين يضعونه في موضعه ، وتفاقم الأمر بينهم حتى تواعدوا للقتال ، ثم تحاجزوا وتناصفوا على أن يجعلوا بينهم أول طالع يطلع من باب المسجد



رواق واسع ذو عقود جميلة مفروش بالسجاد الفاخر كغيره من أروقة الحرم النبوي الشريف .

يقضي ، فخرج عليهم النبي ، صلى الله عليه وسلم فاحتكموا اليه فقال : هلموا ثوباً ، فأتي به فوضع الحجر فيه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوا ، حتى اذا رفعوه الى موضعه أخذ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الحجر بيده فوضعه في الركن ، فرضوا بذلك وانتهوا من الشرور ، ورفعوا بابها عن الأرض مخافة السيل ، وأن لا يـدخل فيها الا من أحبوا ( ٥ ) .

وبطبيعة الحال لم تكن ساحة البيت واسعة في ذلك الحين ، وما كانت هناك حاجة تدعو الى توسعتها ، فقد كان الوافدون الى البيت ، في الجاهلية ، يطوفون حول الكعبة دون مشقة نظراً لأنهم كانوا من العرب فقط ، وكانت غايتهم الطواف وحسب . وكذلك لم تكن هناك ضرورة لتوسعتها في أيام الاسلام الأولى وعلى زمن الرسول الأعظم وخليفته أبي بكر . فقد كانت دائرة الطواف لا تزال من السعة بحيث يستطيع الناس أداء مناسكهم دون مشقة . ولما أخذت رقعة البلاد الاسلامية في الاتساع وازداد عدد الحجاج المسلمين الذين يؤمون البيت العتيق لأداء فريضة الحج أخذت دائرة الطواف حول الكعبة تضيق بهم ، وصار لا بد من توسعتها وزيادتها حتى تستوعب هذه الأعداد الكثيرة من المصلين والطائفين ، فكانت الزيادة الأولى ، في الاسلام ، في أيام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

ففي العام السابع عشر الهجري قدم عمر ، رضي الله عنه ، الى مكة في غير موسم الحج لما بلغه أن سيلا عظيماً اجتاح المسجد الحرام من جهة المدعى . ولما شاهد الوضع على طبيعته أشار باصلاح ما تهدم وبشراء بعض الدور المجاورة للمسجد وهدمها وادخال ساحتها في أرض المسجد ، كما أمر ببناء جدار حوله فيه مداخل تفضي الى الحرم ، ووضع مصابيح فوقها توقد أثناء الليل . ثم أمر باقامة سد يحول السيل المنحدر من جهة المدعى الى مجرى وادي ابراهيم .

وفي عام ٢٦هـ . أشار عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، بشراء دور أخرى وهدمها وادخال أرضها في ساحة المسجد الذي أخذ يضيق بالمصلين القادمين من مختلف الأقطار ، كما جدد البناء القديم وأحدث فيه رواقاً مسقوفاً .

وفي عام ٦٤هـ . جدد عبد الله بن الزبير بناء الكعبة المشرفة ، وبعد عامين اشترى بعض الدور القريبة من المسجد وهدمها وأدخل أرضها ضمن ساحة الحرم .

وبعد حوالي ٢٧ عاماً جدد الوليد بن عبد الملك عمارة المسجد الحرام وسقف أروقته بالساج المزخرف وزاد في مساحته ، كما جلب اليه أعمدة من الرخام من بلاد مصر والشام وقواه من الداخل .

(١) آية ١٧ — سورة التوبة . (٢) آية ٩٦ — سورة آل عمران . (٣) آية ٢٩ البقرة . (٤) آية ١٢٧ — سورة البقرة . (٥) معجم البلدان ٤/ ٤٦٦



جانب من الحرم المكي حيث يبدو المسعى في مقدمة الصورة ، وفي الخلف العمارات السكنية ذات الطوابق المتعددة .

وفي عام ١٣٩هـ . أمر أبو جعفر المنصور العباسي عامله على مكة فزاد في مساحة المسجد وبنى فيه رواقاً أقامه على أعمدة رخامية .

وفي عام ١٦١هـ . حج المهدي بن المنصور العباسي فشاهد ضيقاً في المسجد فاشترى عدداً من الدور الواقعة في الجهتين الشرقية والشمالية وأضاف مساحتها الى الحرم . وبعد ثلاثة أعوام حج ثانية فأمر بزيادة مساحة المسجد من الجهة الجنوبية لتكون الكعبة في الوسط . غير أنه توفي قبل أن تنتهي العمارة فأتمها ابنه موسى الهادي من بعده وكان ذلك عام ١٦٧هـ .

وفي عام ٢٨٤هـ . أضاف المعتضد بالله العباسي ما بقي مما كان يسمى بدار الندوة ، وكان جزءاً منها قد أضيف الى المسجد مسبقاً ، وأجرى ما يلزم من الاصلاح والترميم . وتعرف هذه الاضافة اليوم بباب الزيادة .

وفي عام ٣٠٦هـ . أمر الخليفة المقتدر بالله العباسي باضافة المساحة التي تعرف اليوم بباب ابراهيم ، وبها اكتمل البناء القديم ، وظلت مساحته كما تبدو في وقتنا الحاضر .

بعد زيادة المقتدر بالله ، لم تطرأ أي زيادات أخرى ولم تجر في المسجد أعمال عمرانية غير ما يقتضيه الحال من الاصلاح والترميم . وقد أجريت فيه عمليتا ترميم كبيرتان ، فيما بعد ، كانت الأولى بعد الحريق الذي وقع ، عام ٨٠٣هـ . في أحد الأربطة الملاصقة للمسجد فأتى على الجانب الغربي منه وعلى رواقين في الجانب الشمالي وكان ذلك في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق . وكانت الثانية في عهد السلطان سليم العثماني ، عام ٩٧٩هـ وذلك لدى ظهور خلل في بعض الأروقة فأمر بهدمها واعادة بنائها وجعل سقوفها قباباً بدل الخشب . وقد تمت العمارة في عهد السلطان مراد الذي خلف والده السلطان سليم بعد وفاته ، وقد أنجزت العمارة بقبابها ومآذنها عام ٩٨٤هـ .

## التوسعة السعودية

تعتبر التوسعة السعودية أضخم توسعة جرت في تاريخ الحرم المكي الشريف . وقد جاءت هذه التوسعة بعد أن ظل الحرم على حاله أكثر من الف وسبعين سنة ، أي منذ زيادة المقتدر بالله عام ٣٠٦هـ وكانت مساحته حينذاك ٢٩ ١٢٧ متراً مربعاً .



أحد المصاحف التي تضمها مكتبة المصحف الشريف . وتجدر الاشارة الى أن جميع المصاحف في هذه المكتبة محفوظة ومهداة للمسجد النبوي

بدأت هذه التوسعة ، في عام ١٣٧٥هـ . وقد قسم المشروع الى ثلاث مراحل شملت الجهات الأربع للبيت العتيق والمسعى والمنائر . وبعد أعمال الهدم الضرورية بديء باقامة المسعى بطابقيه ، ويبلغ طوله ٣٩٤ متراً وعرضه ٢٠ متراً وارتفاع الطابق الأول منه ١٢ متراً والثاني تسعة أمتار . كما أقيم في كل من جهتي الصفا والمروة درج دائري وفوق كل منهما قبة ضخمة عالية ، كما جرى العمل لتحويل مجرى السيل واقامة عدد من الأقبية والعقود . وبعد ذلك جرى تسقيف القسم الثاني من الرواق الجنوبي بطابقيه الأول والثاني والأقبية . ويبلغ ارتفاع كل من الطابقين حوالي عشرة أمتار . ثم بدأ العمل في بناء الرواق الشمالي الذي يمتد من باب العمرة الى باب السلام وتكملة بقية الأروقة والمداخل والمرافق والممرات . وقد بنيت الجدران بطريقة خاصة بحيث كانت صفائح المرمر والرخام توضع في مواضعها من الشبكة الحديدية التي يتكون منها هيكل البناء ثم تشد الى بعضها بمشابك حديدية أيضاً و يصب الاسمنت بينها فتتماسك وتصبح قطعة ثابتة ، كما زينت السقوف والعقود بحجر اصطناعي جميل . وفي واقع الحال يصعب على المرء أن يلم ، دون مشاهدة ، بروعة هذه التوسعة من حيث ضخامة البنيان والأعمدة الرخامية والنقوش الجميلة فهي ، في الحقيقة ، تجل عن الوصف ، أضف الى ذلك الشعور الروحاني الذي يشعر به الوافدون الى البيت من المصلين والطائفين والعاكفين .



جانب من المسجد الحرام في مكة المكرمة يبدو فيه أروقة من الطابق الثاني الذي شملته التوسعة السعودية .

واذا ما قورنت مساحة التوسعة السعودية بما كانت عليه مساحة الحرم نجد أنها بلغت أكثر من أربعة أضعاف ما كان عليه المسجد في أيام المتقدر بالله . إذ أصبحت مساحة المسجد بطابقيه وأقبيته بما في ذلك المسعى بطابقيه أيضاً أكثر من ١٦٠٠٠٠ متر مربع ، وكانت قبل التوسعة حوالي ٢٩٠٠٠ متر مربع كما أسلفنا . وصار المسجد بعد التوسعة يتسع لأكثر من ٣٠٠٠٠٠ من المصلين في آن واحد . والزائر للحرم المكي يدهش ، ولا شك ، بهذا البناء الرائع ، وبسعته ونقوشه وقبابه ، وبمآذنه السبع التي ترتفع نحو ٩٠ متراً في الفضاء الرحب .

## الهجرة إلى المدينة

عندما أذن الله ، جلت قدرته ، لرسوله الأمين بالهجرة من مكة الى المدينة ، مضى عليه الصلاة والسلام اليها وهو لا يلوي على شيء ، وكان بصحبته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأخذا يغذان السير أياماً وليالي حتى بلغا مشارفها . فوجدا الناس خارجين لاستقبالهما فرحين بقدومهما وهم ينشدون :

**طلع البدر علينا**
**من ثنيات الوداع**
**وجب الشكر علينا**
**ما دعا لله داع**
**أيها المبعوث فينا**
**جئت بالأمر المطاع**
**جئت شرفت المدينة**
**مرحباً يا خير داع**

ترتفع مآذن المسجد الحرام السبع في مكة المكرمة نحو ٩٠ متراً في الفضاء وهي مبنية بالرخام الجميل مزدانة بالنقوش الرائعة .

## مسجد قباء

كان أول نزوله ، صلى الله عليه وسلم ، في ضاحية يقال لها « قباء » ، وفيها بنى عليه الصلاة والسلام المسجد المعروف بهذا الاسم وعمل فيه بيديه . وقد جاء في الحديث الشريف قوله عليه السلام في فضل الصلاة في مسجد قباء : « من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة » .

وقد جدد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، مسجد قباء أثناء خلافته وزاد فيه . كما جدده من بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، أثناء امارته على المدينة في أيام الوليد بن عبد الملك ، وأقام فيه مئذنة . وفي عام ٤٣٥هـ . جدده الشريف أبو يعلى الحسيني . كما جدد ورمم وأصلح من بعد ذلك مرات عديدة كان آخرها عام ١٣٨٨هـ . وذلك في عهد المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه .

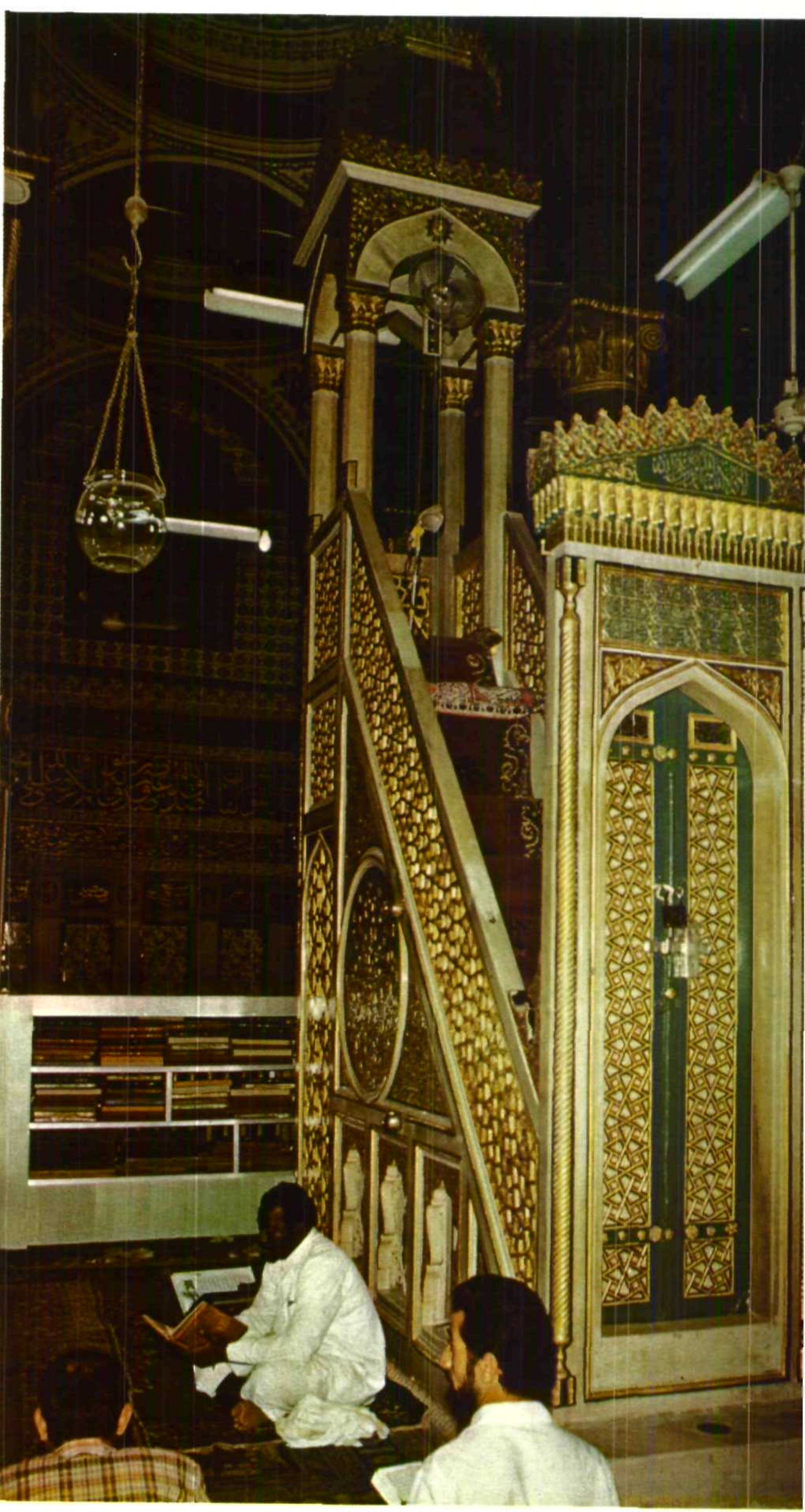
## مسجد الجمعة

يدعى هذا المسجد كذلك لأن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، صلى فيه بالناس أول جمعه ، وكان ذلك أثناء توجهه ، عليه الصلاة والسلام ، من قباء الى المدينة في الأيام الأولى لهجرته . ويعتبر مسجد الجمعة أحد المساجد المشهورة في المدينة ، كما أن له عدة أسماء منها : مسجد الوادي ، ومسجد عاتكة ، ومسجد الغبيب . إلا أن « مسجد الجمعة » هو الاسم الغالب وهو المعروف به اليوم . ويقع هذا المسجد في وادي رانوناء على الطريق المؤدي من مسجد قباء الى المدينة .

## المسجد النبوي

عندما اتجه الرسول الكريم بصحبه ، بعد ما صلى الجمعة في المسجد الآنف الذكر ، كان كلما مر بقوم أمسكوا بناقته وطلبوا اليه النزول عندهم ، فكان يقول لهم : خلوا سبيلها فانها مأمورة . وهكذا ظلت الناقة في طريقها حتى وصلت الى موضع المسجد النبوي فبركت فيه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : هذا المنزل ان شاء الله : ونزل عنها .

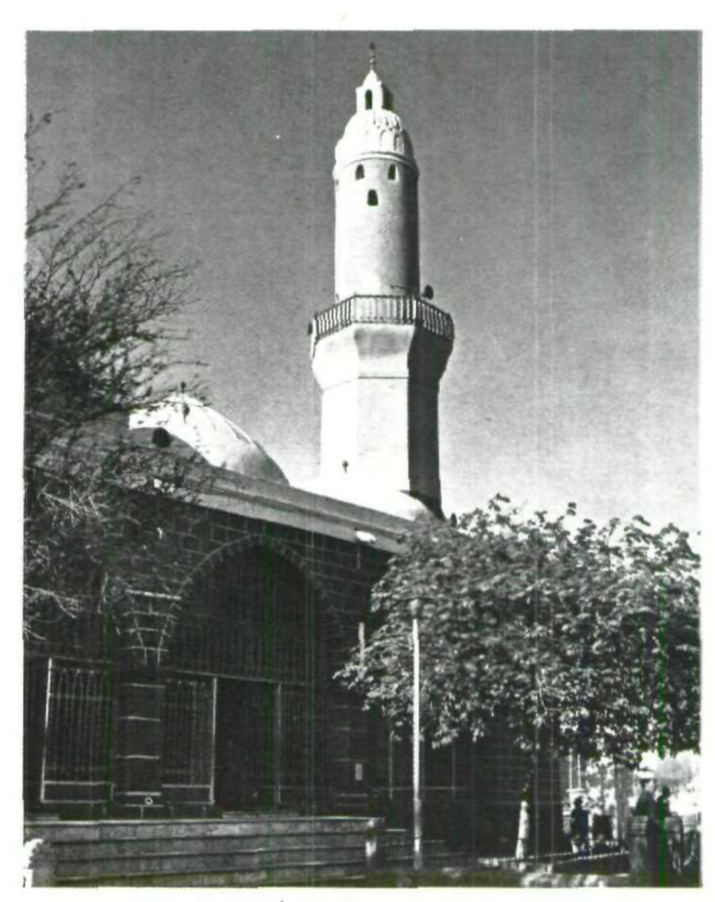
وفي تلك البقعة الطاهرة من أرض المدينة أقام الرسول الكريم مسجده في شهر ربيع الأول من السنة الأولى لهجرته . وقد اشترك في بنائه



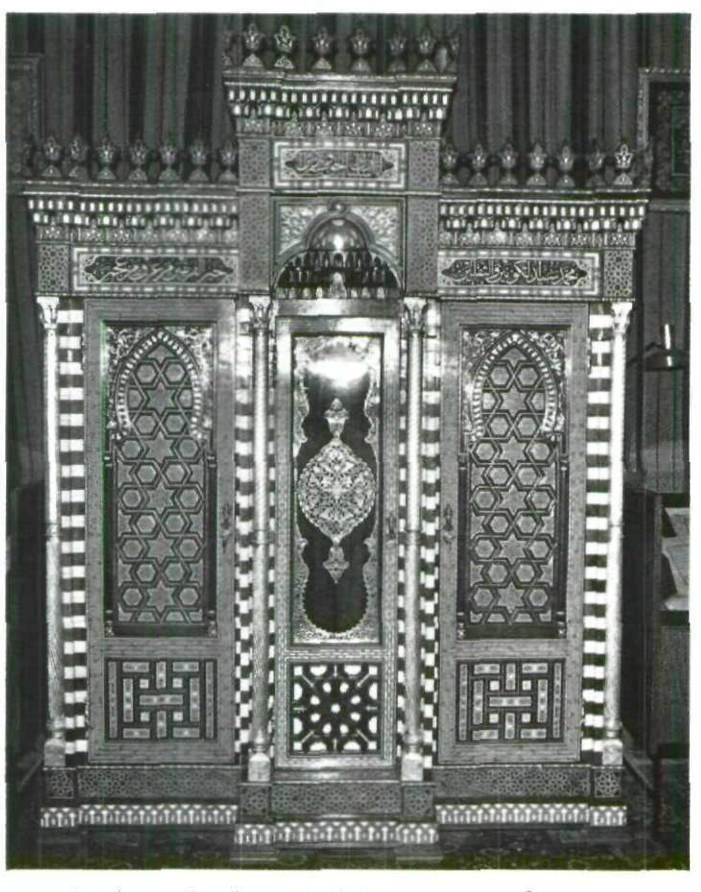
منبر المسجد النبوي الشريف .

منظر خارجي للمسجد النبوي الشريف ويبدو في المقدمة جانب من المظلات التي أضيفت الى المسجد .

احدى الزخارف التي تزين قباب المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة .



جانب من مسجد الغمامة في وسط المدينة .



احدى خزانات مكتبة المصحف مزدانة بالنقوش البديعة وهي مملؤة بنسخ مخطوطة من المصحف الشريف .

المصحف الشريف الكبير في المكتبة ويبلغ طوله ١٤٢ سم وعرضه ٨٠ سم ، وكتب عام ١٢٤٠هـ .

بنفسه ، فكان ينقل الحجارة واللبن وهو يردد :
**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة .**

وما هي الا أيام حتى ارتفع بناء المسجد وكان أساسه من الحجارة وجدرانه من الطين واللبن ، وجعل له ثلاثة أبواب ، ثم زاد فيه الرسول الكريم ، بعد غزوة خيبر من الشرق والغرب والشمال فبلغت مساحته **٢٤٧٥ متراً** مربعاً ، وكان ذلك في السنة السابعة بعد الهجرة .

وبعد حوالي عشر سنين زاد فيه الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب فصارت مساحته ١٤٠×١٢٠ ذراعاً ، وزاد في عدد أبوابه فصارت ستة أبواب ، وكان بناؤه أيضاً من الطين واللبن وسقفه من الجريد وأعمدته من الخشب والنخيل .

وفي عام ٢٩ للهجرة أعاد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، عمارة المسجد النبوي ، وبنى فيه رواقاً جعل أعمدته من الحجارة وصب فيه الحديد والرصاص وجعل سقفه من خشب الساج ، كما زاد في مساحة المسجد من الجهات التي زاد فيها عمر بن الخطاب ، وأغلق بابين من الأبواب الستة فصار للمسجد أربعة أبواب فقط .

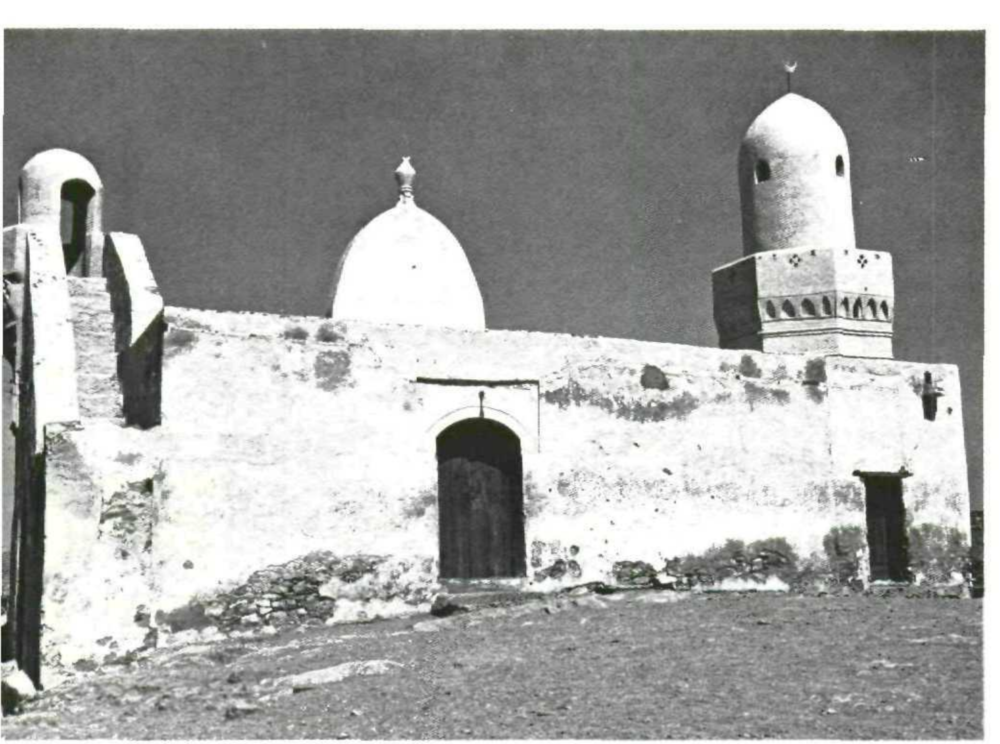
وظل المسجد على حاله لم تجر عليه أية توسعة حتى عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، الذي أولى تعمير المسجد عناية فائقة ، وكان أمير المدينة في عهده ، عمر ابن عبد العزيز ، الذي أشرف على أعمال الانشاء والتعمير . فزاد في المسجد من ثلاث جهات الغرب والشرق والشمال ، كما أدخل حجر أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في التوسعة ، واقتطع جزءاً من حجرة أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، وأضافه الى المسجد من ناحية الروضة الشريفة . وقد شيد المسجد بالحجارة والجص ، وعملت أعمدته من حجارة صب فيها الحديد والرصاص ، كما عمل سقفه من الساج ، وقد أستعين في تجديد هذه العمارة بعمال مهرة من مسلمي الروم فأجادوا في التعمير والتزيين . وقد استغرق العمل في العمارة حوالي ثلاث سنين ، من عام ٨٨ هـ حتى عام ٩١هـ .

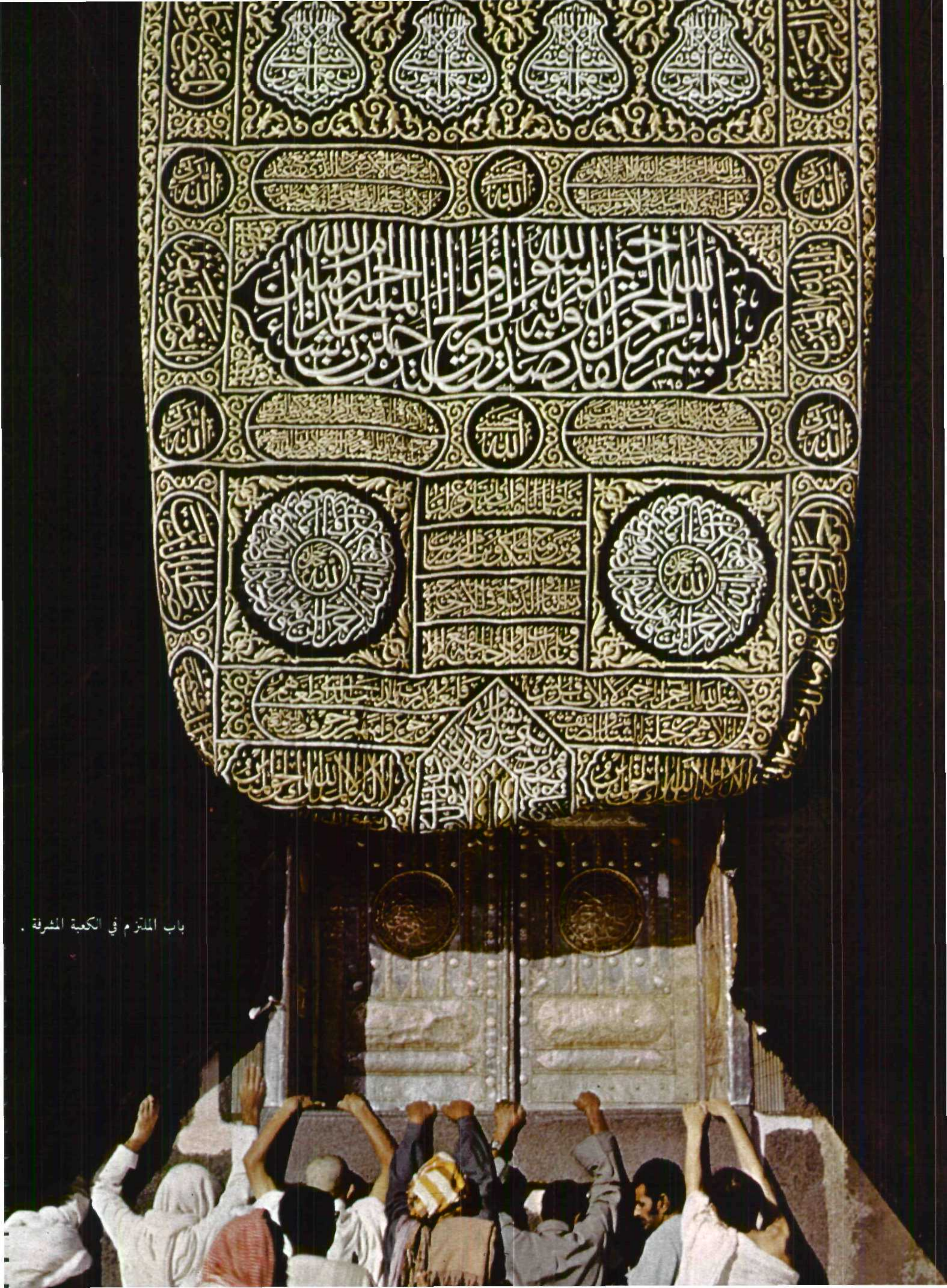
ومن بعد الخليفة الأموي جاء الخليفة العباسي المهدي بن المنصور فطلب الى أمير المدينة في ذلك الحين جعفر بن سليمان أن


مسجد عمر بن الخطاب ، في وسط المدينة ، وهو غير الموجود في منطقة المساجد الستة .

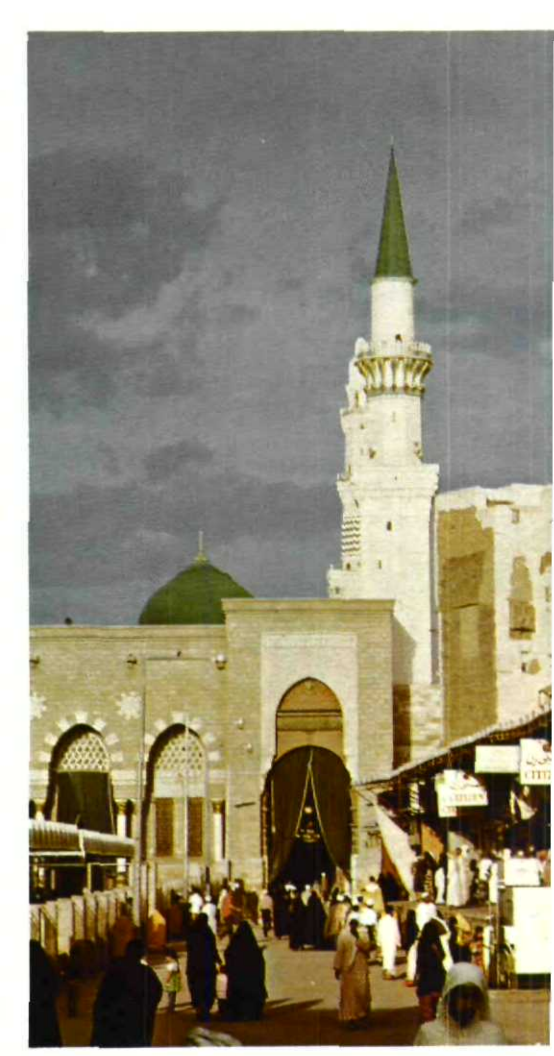

مسجد أبي بكر وهو في المناخة .




يقوم هذا المسجد الأثري في قمة جبل « أبو قبيس » المشرف على مكة المكرمة .



باب الملتزم في الكعبة المشرفة .



أحد المداخل الرئيسية للمسجد النبوي الشريف .

يقوم بتوسعة المسجد النبوي فزاد في مساحته حوالي مائة ذراع من الناحية الشمالية ، واستغرق العمل فيها حوالي أربع سنوات من سنة ١٦١ — ١٦٥ هجرية .

بعد ذلك لم تحدث زيادة تذكر على المسجد مدة تقرب من ٥٠٠ عام . وعندما شب حريق كبير والتهم سقف المسجد كله عام ٦٥٤هـ . أمر الخليفة المعتصم بالله باعادة عمارته عمارة شاملة ، وتبعه في ذلك الملك المظفر ، ثم الملك الظاهر سلطان مصر الذي تمت العمارة في عهده عام ٦٧٠ هجرية على وجه التقريب .

وفي عام ٧٢٩هـ . أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمره بزيادة رواقين في المسجد وبناء مئذنة رابعة ، وكان للمسجد ثلاث مآذن فقط . وفي سنة ٨٧٩هـ . أجرى الملك الاشرف قايتباي ترميمات كبيرة شملت الأعمدة والسقف والمآذن . وفي سنة ٨٨٦هـ . شب حريق كبير فأرسل الملك قايتباي الأمير سنقر الجمالي ومعه مئة من الصناع المهرة فأعادوا تعمير المسجد وصنعوا له منبراً جديداً وبنوا فيه محراباً مجوفاً وزينوا ذلك وزخرفوه بزخرفة جميلة .

ولما آل الأمر الى آل عثمان ، قام عدد من سلاطينهم بأعمال اصلاح وتزيين كثيرة . ففي سنة ١٢٦٥هـ بدأ السلطان عبد المجيد في مشروع كبير لعمارة المسجد انتهت في عام ١٢٧٧هـ . كما أرسل أشهر الخطاطين في استنبول ، في ذلك الحين ، وهو الشيخ عبد الله زهدي ، فلبث ثلاث سنوات وهو يكتب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على جدران المسجد ، وهي التي نراها حتى يومنا هذا . ويقال أن نفقات العمارة والتزيين قد بلغت ثلاثة أرباع مليون جنيه عثماني . وكانت تلك هي العمارة الأخيرة قبل التوسعة السعودية .

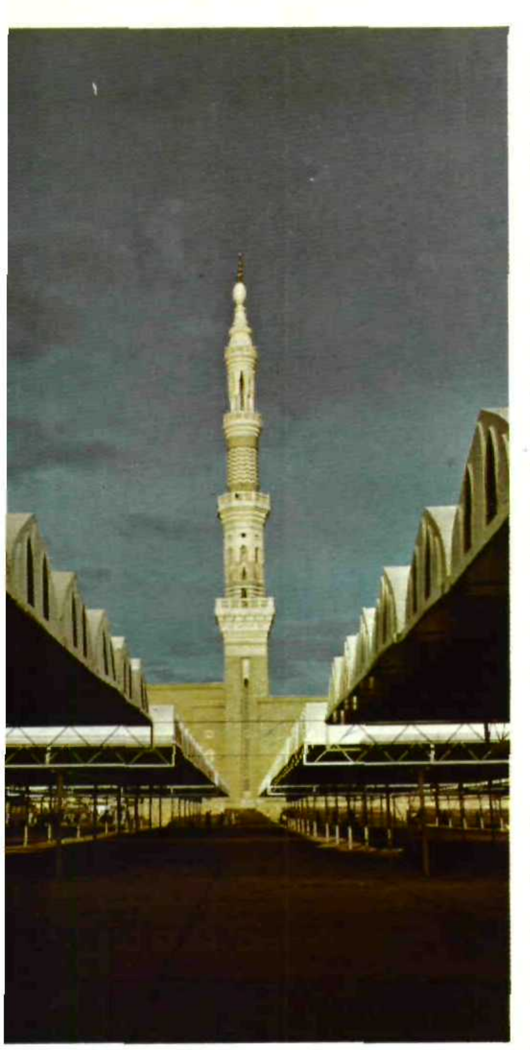
## المآذن والمحاريب

كان عمر بن عبد العزيز أول من أنشأ مئذنة في المسجد النبوي ، ولم يكن فيه مآذن على عهد الرسول الكريم والخلفاء الراشدين من بعده . وقد أنشأ عمر بن عبد العزيز أربع مآذن واحدة في كل زاوية . والمآذن الرئيسية الموجودة بالمسجد الآن هي : مئذنة قايتباي ، مئذنة باب السلام ، مئذنة باب الرحمة ، المئذنة المجيدية .

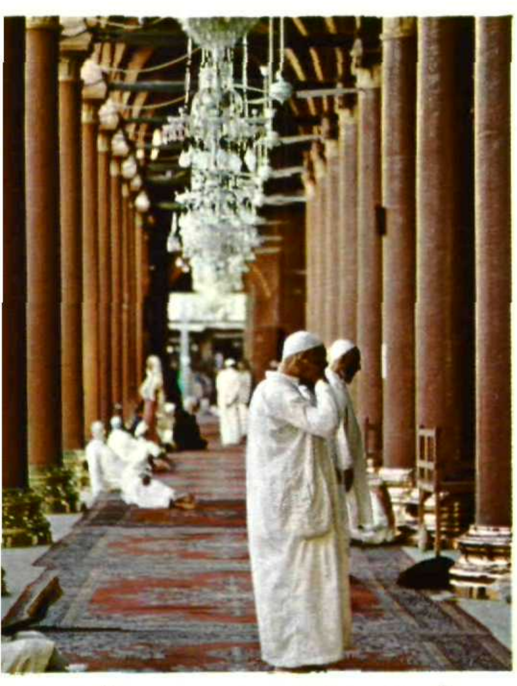
وكذلك لم يكن على عهد الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، محراب مجوف . وكان عليه الصلاة والسلام يصلي في مكان المحراب الكائن في الروضة الشريفة أو على مقربة منه ثم أقيم محراب ثان في حائط المسجد القبلي ، ومحراب ثالث في غربي المنبر فرابع للتهجد ، فخامس أقيم في جنوبي المحراب الرابع .

## المنبر

كان عليه الصلاة والسلام يخطب غير مستند الى شيء ، ثم خطب مستنداً الى جذع نخلة ثم أقيم له منبر من خشب ، وقد زاد فيه وأصلحه مروان بن الحكم . ولما شب الحريق في المسجد عام ٦٥٤هـ ، احترق المنبر ، أرسل المظفر صاحب اليمن منبراً جديداً عام ٦٥٦هـ . وضع مكان المحترق . ثم استبدل ذلك المنبر بعدة منابر أخرى ، واحداً بعد الآخر ، حتى كان عام ٩٩٨هـ . عندما أرسل السلطان مراد منبراً جديداً هو الذي لا يزال قائماً حتى اليوم .



احدى مآذن الحرم النبوي الأربع التي ترتفع نحو ٧٠ متراً في الفضاء .

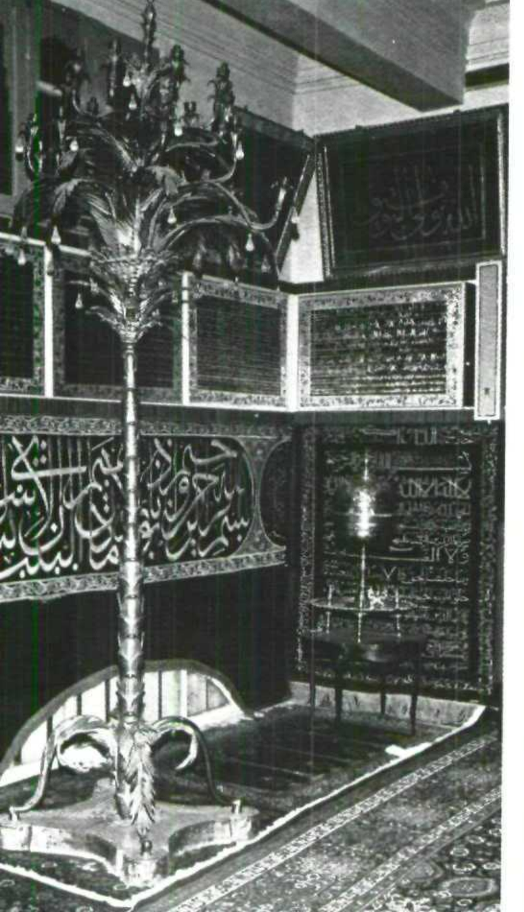


أحد الأروقة في المسجد النبوي تزينه الثريات الجمي

نقوش وخطوط جميلة في داخل احدى قباب الحرم المكي الشريف .



تحفة مجسمة من الذهب محفوظة في مكتبة المصحف الشريف في الحرم النبوي .





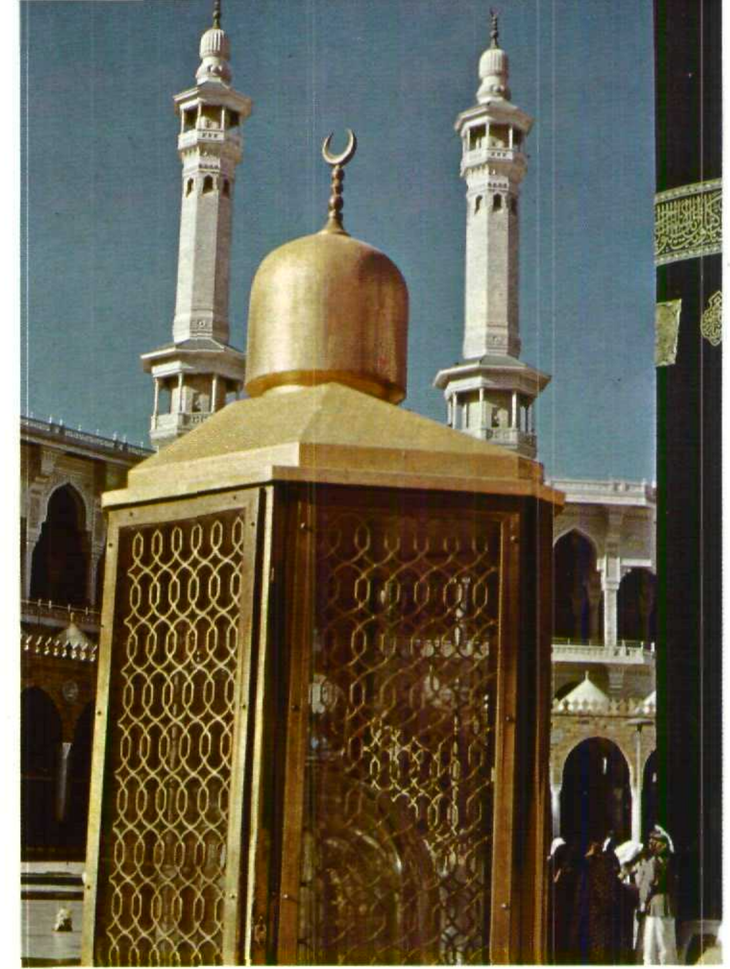
مسجد قباء بالمدينة المنورة .

محراب « مسجد قباء » حيث أمّ الرسول الكريم لدى وصوله الى المدينة المنورة يوم هاجر اليها .

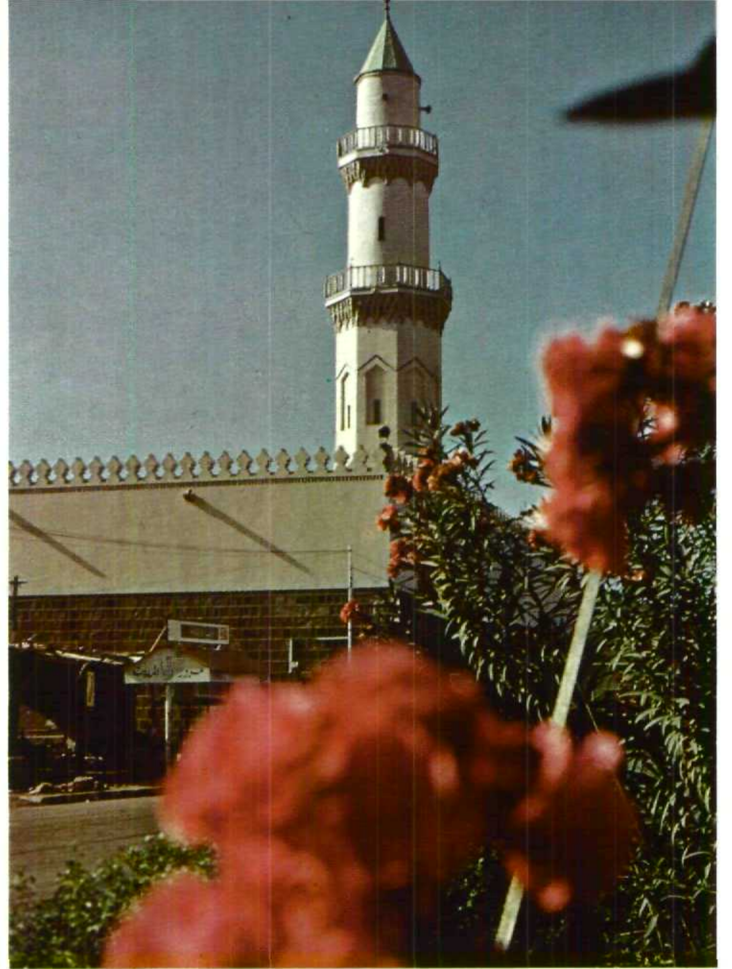




منظر ليلي لمحراب الرسول الكريم حيث تقوم الروضة الشريفة .



مقام ابراهيم في الحرم المكي الشريف .





مسجد قباء في المدينة المنورة وهو أول مسجد أسس على التقوى .

## المسجد النبوي قبل التوسعة السعودية

كانت مساحة المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٤٧٥ متراً مربعاً ، فزيد فيه في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ١١٠٠ متر مربع ، وفي عهد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ٤٩٦ متراً مربعاً ، وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ٢٣٦٩ متراً مربعاً ، وفي عهد الخليفة العباسي المهدي بن المنصور ٢٤٥٠ متراً مربعاً ، وفي عهد الملك الأشرف قايتباي ١٢٠ متراً مربعاً ، وفي عهد السلطان عبد المجيد الثاني العثماني ١٢٩٣ متراً مربعاً ، وبذلك أصبحت مساحة المسجد ١٠٣٠٣ أمتار مربعة .

## التوسعة السعودية

بدىء بتنفيذ مشروع العمارة السعودية في شوال ١٣٧٠ ، فتألفت لجنة لتقدير قيمة الدور المحيطة بالمسجد التي تقرر هدمها وضم مساحتها الى المسجد . واستمرت أعمال الهدم ونقل الأنقاض حتى أوائل عام ١٣٧٢ ه . وفي ربيع الأول من عام ١٣٧٢ه . أقيم احتفال كبير لوضع الحجر الأساسي في التوسعة حضره الآلاف من المواطنين والضيوف وممثلي الدول الاسلامية .

وسارت أعمال البناء والتعمير على قدم وساق ، وبلغ عدد الفنيين والعاملين في عمارة المسجد أكثر من ١٧٠٠ شخص . كما أحضرت من أجل العمارة معدات ورافعات ضخمة وسيارات وجرافات من مختلف الأنواع . وقد أنشىء معمل خاص لصنع « المزايكو » في منطقة آبار علي نظراً لتوفر المياه هناك . وأثناء ذلك أقيمت مبان سكنية ومخازن في الجهة الغربية ليكون ريعها وقفاً على الحرم النبوي الشريف .

وبعد ثلاث سنوات من العمل الجاد المثمر تمت التوسعة على نحو ما تشاهد اليوم ، وأقيم للمناسبة احتفال كبير في اليوم الخامس من ربيع الأول عام ١٣٧٥ ، حضره جلالة المغفور له الملك سعود ، ووفود تمثل الدول الاسلامية وجمهور كبير من المواطنين والأهالي .

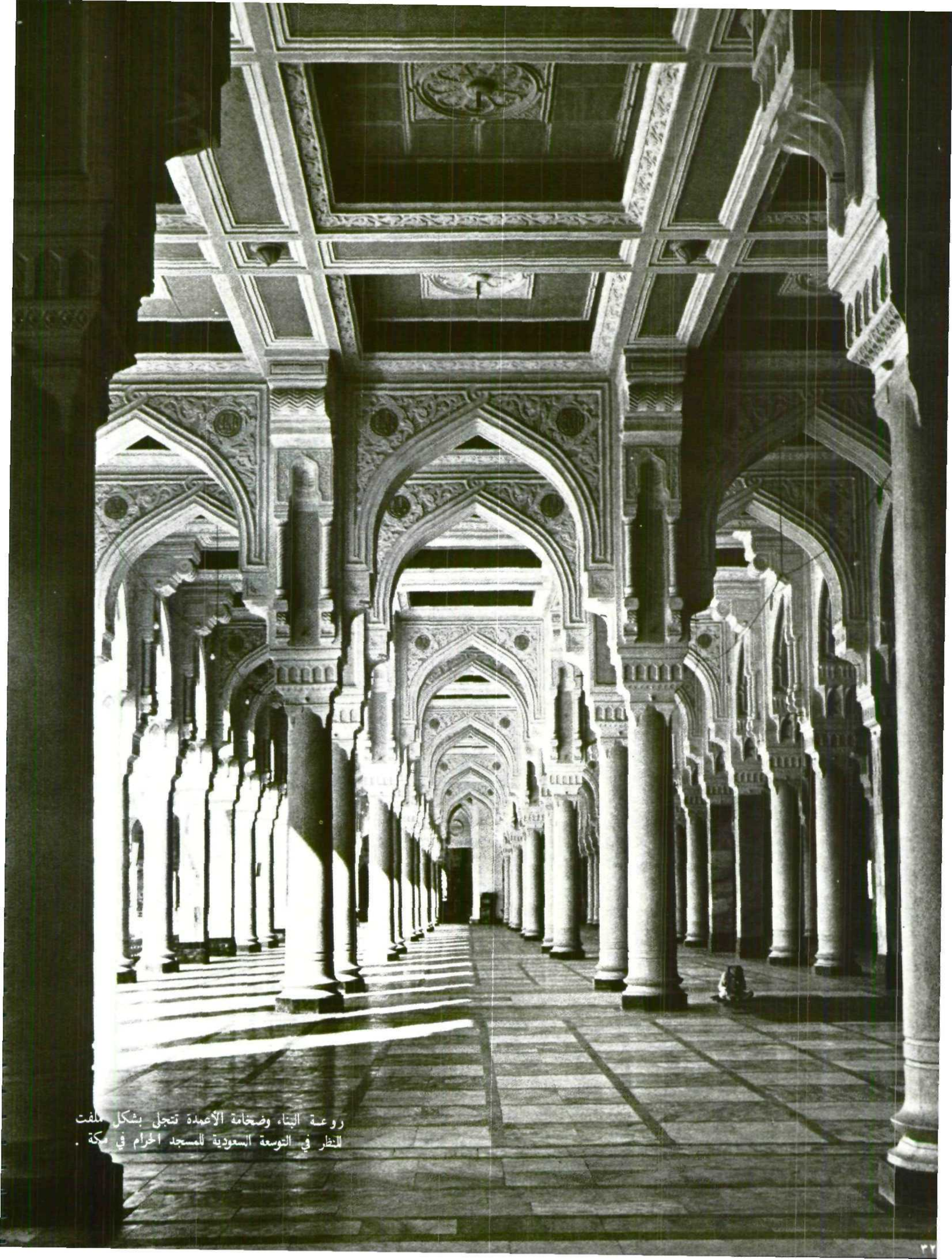
وباضافة التوسعة السعودية ، وهي أكبر توسعة جرت في تاريخ المسجد ، أصبحت مساحته الاجمالية ١٦٣٢٦ متراً مربعاً ، أي أن التوسعة السعودية ، بلغت أكثر من ستة آلاف متر مربع .

وما كادت التوسعة السعودية الآنفة الذكر تتم حتى روئي الاستمرار في ازالة بعض الدور والبنايات الواقعة في الجهة الغربية من المسجد وتمهيد مكانها ، فصارت هناك ساحة واسعة ممهدة فوقها مظلات بيضاء جميلة تقي المصلين الحر والمطر اذا ضاق بهم المسجد في أيام الحج والجمع .

ومما تجدر الاشارة اليه كذلك أنه يوجد في المسجد النبوي ، فوق باب الصديق ، مكتبة قيمة خاصة بالمصاحف المخطوطة ، والخطوط النفيسة ، ومن بين هذه المصاحف مصحف كبير يزيد وزنه على ١٥٤ كيلوغراماً وطوله ١٤٢ سنتمتر وعرضه ٨٠ سنتيمتراً وقد كتبه الخطاط غلام محيي الدين عام ١٢٤٠ه . وهناك أيضاً مصحف صغير مخطوط يبلغ طوله



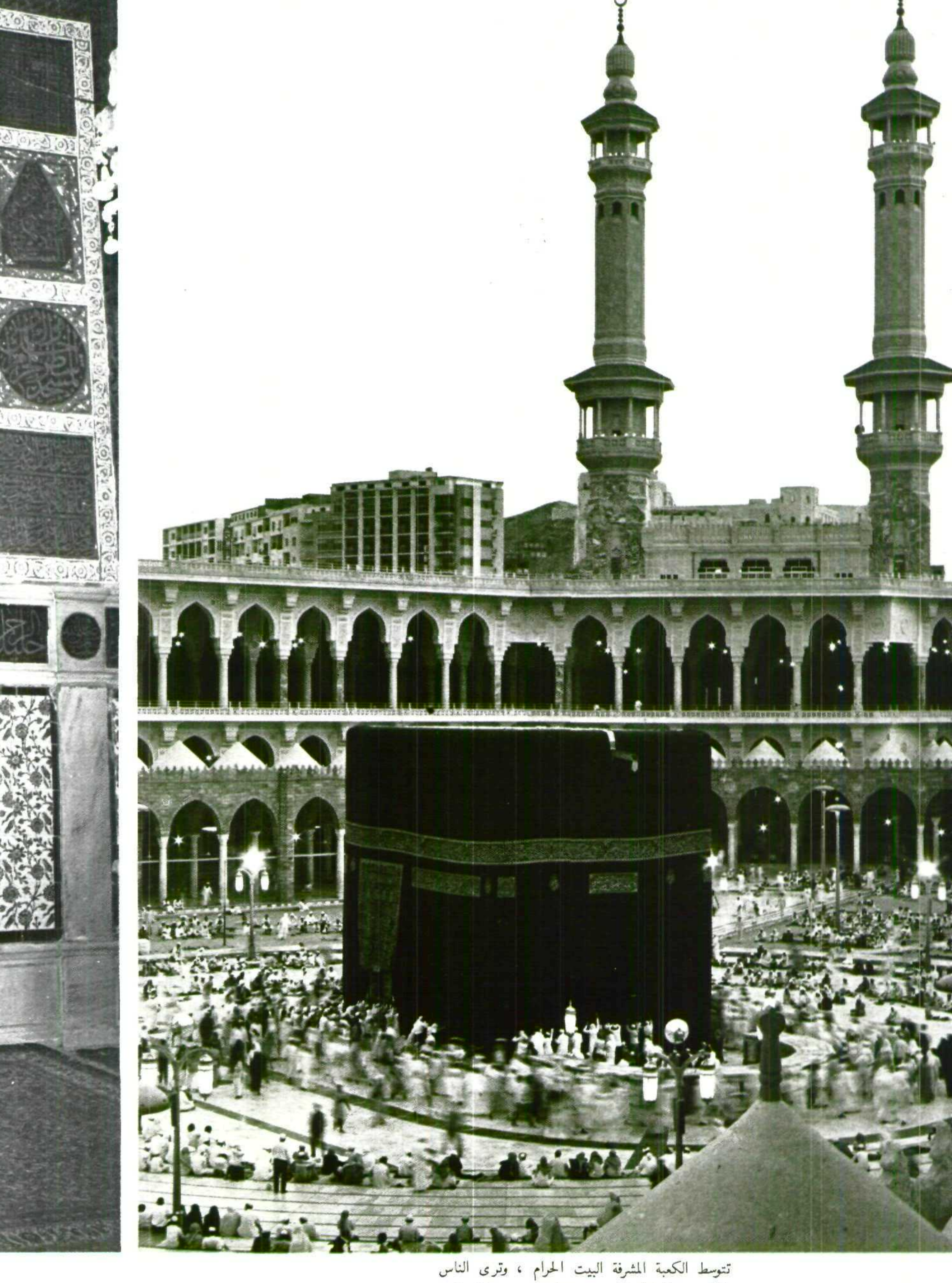
منظر ليلي لاحد جوانب الحرم المكي الشريف



روعة البناء، وضخامة الأعمدة تتجلى بشكل ملفت للنظر في التوسعة السعودية للمسجد الحرام في مكة .

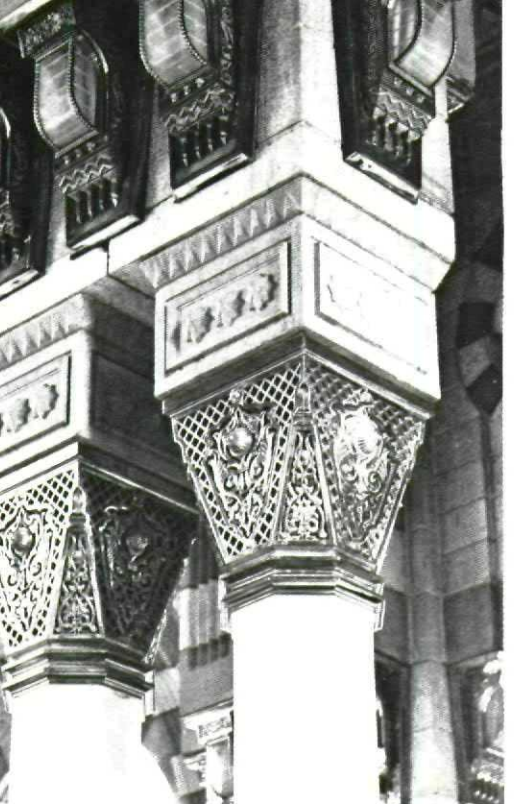
منطقة المساجد الستة الأثرية ، ويبدو في المقدمة على اليمين مسجد الفتح ، فمسجد سلمان الفارسي ثم مساجد أبي بكر وعمر وعلي وفاطمة .

المصحف الشريف الصغير ويبلغ طوله حوالي ١٥ سم وعرضه ١٠ سم وكتب عام ١٠١٨هـ



تتوسط الكعبة المشرفة البيت الحرام ، وترى الناس
طائفين حولها ليل نهار ، يدعون ربهم ويستغفرونه .

محراب المسجد النبوي حيث يقف الأمام ليؤم المصلين الذين غالباً ما تمتلىء بهم ساحات المسجد الرحبة .



زركشة ونقوش جميلة تحلي أعلى الأعمدة الرخامية الضخمة بمسجد الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة المنورة .

حوالي ١٥ سنتمتراً وعرضه ١٠ سنتمترات ، وقد كتبه الخطاط مهدي بن علي بن يوسف الداغستاني عام ١٠١٨هـ . وفيها أيضاً مصحف بخط الخطاط محمد حسين الكازروني كتبه عام ٥١٥هـ . وآخر بخط أبو سعد محمد بن اسماعيل كتبه عام ٥٤٩هـ . ومعظم محتويات هذه المكتبه أهدي للمسجد النبوي في تواريخ متفاوتة .

## بلد المساجد

سبق أن قلنا أن المدينة المنورة بلد المساجد ، إذ لا يكاد المرء يمر من ناحية الا ويرى فيها أثراً للمسلمين الأوائل . وأغلب تلك الآثار مساجد أقاموها لعبادة الله الواحد الأحد .

ومن هذه المساجد ما درست آثاره ومنها ما بقي شبيهاً بحالته الأولى أيام بنائه وان امتدت اليه يد الترميم والتعمير ، ومنها ما تغير بناؤه وأعيد تشييده أكثر من مرة ولكنه ظل محتفظاً باسم من شيده أصلا ، أو أقيم في عهده ، أو كانت له اليد الطولى في انشائه . ومن هذه المساجد الأثرية المأثورة :



منظر ليلي لداخل الحرم النبوي وقد أضيئت فيه الثريات الضخمة بين الأعمدة الرخامية التي تقوم عليها قباب المسجد المزدانة أيضاً بالنقوش .

## مسجد الغمامة

ويدعى أيضاً مسجد المصلى ، ويقع في حي المناخة وكانت صلاة العيدين تقام فيه ، وقد جدد عدة مرات في العهد العثماني ، كما جرى ترميمه في العهد السعودي مع الابقاء على عمارته العثمانية .

## مسجد الفتح

أقيم هذا المسجد في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ويقع على جبل صغير مرتفع في الناحية الغربية من سفح جبل « سلع » . وفيه دعا الرسول ، عليه الصلاة والسلام ربه على الأحزاب في غزوة الخندق ، ففتح الله على المسلمين وتفرق الأحزاب .

## مسجد الفضيخ

ويعرف كذلك بمسجد الشمس ، ويروى أن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، قد صلى في ذلك الموضع ست ليال خلال محاصرته لبني النضير . وقد ذكر السمهودي في كتابه « وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى » عن سبب تسمية المسجد بهذا الاسم فقال : فلما حرمت الخمر خرج الحبر الى أبي أيوب في نفر من الانصار وهم يشربون فيه فضيخاً (خمر التمر) فحلوا وكاء السقاء فهرّاقوه فيه ، فبذلك سمي مسجد الفضيخ » .

## مسجد القبلتين

يقع هذا المسجد على ربوة مرتفعة في شارع سلطانة على يسار الذاهب الى الجامعة الاسلامية وسمي كذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، بينما كان يصلي فيه باتجاه بيت المقدس أمره الله سبحانه وتعالى بالتحول الى الكعبة . ويقال بأن السلطان سليم جدده عام ٩٥٠هـ . وهو لا يزال على هيئته ولم تجر عليه سوى أعمال الاصلاح والترميم العادية .

وهناك أيضاً الكثير من المساجد الأثرية الأخرى كمسجد « ذباب » أو « ذوباب » ويسمى الآن مسجد الراية ، ومسجد بني ظفر ، ومسجد السقيا ، ومسجد الاجابة ويقال له أيضاً مسجد بني معاوية ، ومسجد البحيرة أو مسجد السجدة . . ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، صلى ركعتين في موضعه وسجد سجدة طويلة جداً فسمي بذلك . ومن المساجد الأثرية كذلك مسجد سلمان الفارسي ، ومسجد أبي ذر الغفاري ، ومسجد بني ساعدة ، وهناك أيضاً مساجد بأسماء الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ●

ابراهيم محمود الشناوي – هيئة التحرير

تصوير : شيخ أمين

# رؤى الأمس

للشاعر: طاهر زمخشري

يا ثريّا . . ينيرُ دربي سناها ويروّي الشعورَ ، طيبُ شذاها
ربوةُ الملتقى ، تطوفُ بها الذّكرى ، وتُعطي من المنى أحلاها
ورُؤى الأمس . لم تزل فتنة تشدو ، ولن يخرس النائي صداها
كلما ضجَّت اللواعجُ في نفسي ، أفاضَت زوافري من لظَاها
فمن الشَّوقِ لوْعتي تسكبُ الآه وما زلتُ احتسي من نَداها

* * *

نَسِيَ السهدُ أنني أرقبُ الصبْحَ فحيَّا إسفاره من دُجاها
لملمَ النورَ حسنُها في محيا بأفانين نُورِها يتباهى
وضحوكُ السَّنى على ثغرها الباسم يشدو فيستعيدُ صِبَاها
فبأحلام صبوَتي ، أعبرُ الليل اليها ، ومنْيَتي أن أراها
وربيعُ الحياةِ يمرحُ فيها ويُشيعُ الفتونَ في مغناها

* * *

أنا لولا الثمارُ طابَ جناها من ربيعٍ بِوَرْدِهِ قد كساها
ما احتملتُ الهوَى ، وما ابتردَ القلبُ بنارٍ بين الضلوع لظاها
تجْرحُ العين بالسهاد ، ولا تعلم ، أن السهاد أغلى مناها
فالوجومُ الذي يبعثِرُ أفكاري . يُريني عبْر الدَّياجي رُؤاها
وعلى رغم لوْعتي ، ففؤادي لم يزل بالحنين يقفو خُطاها
في خِضمِّ الظلام ، في زحمةِ الآلام تطْوي جوانحي أقساها

* * *

كلما أومض الجمالُ بمعنى لعيوني استطبْتُ حرَّ جواها
وارد الدّجى إلى طيفها السّاري . وتشدو زوافري في حمَاها
وعلى الصَّمتِ في وثاقٍ من الحب جريحُ ، ما زال يرجو لقاها

طاهر زمخشري — جدة

من حصاد الكتب

# التصوير الفني في القرآن

أوضح المؤلف عنوان كتابه ، خوف الاعتراض ، أو خشية التأويل فقال :

«لم يكن لكلمة الفن في (التصوير الفني في القرآن) الا مدلول واحد : هو جمال العرض ، وتنسيق الأداء ، وبراعة الاخراج ، ولم يجل في خاطري قط ، ان الفني بالقياس الى القرآن معناه : الملفق ، أو المخترع ، أو القائم على مجرد الخيال ! ذلك ان دراستي الطويلة للقرآن ، لم يكن فيها ما يلجئني الى هذا الفهم أو هذا التأويل . . » .

وتعجب الأستاذ قطب من انصراف كلمة « الفني » الى الخيال الملفق ، والابتداع الذي لا يسنده الواقع والاختراع الذي يخرج على المعقول . . !

وقد أجاب المؤلف على هذا التعجب ، أو هذا التساؤل بقوله :

« الا يمكن أن تعرض الحقائق الواقعة عرضاً فنياً وعرضاً علمياً ، ثم تبقى لها في الحالتين ، صفتها الأساسية من الصدق والواقعية . . ؟ »

ومضى الراحل في هذا البحث ، متأثراً بالقرآن ، متوجهاً بكليته الى الجانب الفني الخالص ، ضارباً بالمباحث اللغوية أو الكلامية أو الفقهية ، أو غيرها عرض الحائط . . لأنها لا تمثل في رأيه ما توافر عليه من ابراز الصور الفنية التي أخذ نفسه بها ، أو ألقاها مباحث قد طرقها المعنيون بها ، أو قتلها أصحابها أو فرسانها تنقيباً وبحثاً . . وان كان الواجب على مثله ، أن يتناول هذا التصوير مشفوعاً بما يكتنفه من تعلقات كلامية ، أو لغوية ، أو يصاحبه من تفريعات فقهية ، هي أقمن بهذا البحث ، وأجدر على الثبوت واللمعان . .

ولكن لعلّ المؤلف قد اختار جانب التصوير دون سواه ، ليستطيع مناقشة الوقائع مناقشة منطقية تارة ، أو سارداً للحوادث تارة أخرى . .

ويتضح ذلك في اسلام عمر ، وتكبيرة النبي ، عليه الصلاة والسلام ، عند ذلك وتولي الوليد ابن المغيرة ، واعتزازه بماله وولده ونسبه . . على أنه لا يجوز اغفال العوامل النفسية في اسلام عمر ، وتأثير القرآن في نفسي كليهما ، كما يقول الأستاذ قطب ، أو تتناسى التقوى التي شرحت صدر ابن الخطاب للاسلام ، أو يضرب عن الكبرياء التي صدت الوليد عن الاذعان للاسلام .

وتعرض الأستاذ قطب لفهم القرآن ، وتعاطي التفسير ، ونقل عدة روايات ، عن : سعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، وهشام بن عروة ، وخلص في أمر هذا النقل الى أن مسّ السحر في القرآن ، كان الى جانب التحرج الديني ، فضلا على روعة البهر ، وأمارات المفاجأة بهذا النسق المعجز ، الى حد الدهش والاستسلام . وكان سياق الأمثلة ، أو النقلة في التفسير في حذر وخشية ، أو المنقول عن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، ماضياً الى أن جاء عصر التابعين . وكان التوضيح اللغوي ، لبنة المعنى الذي يفهم من أي آية قرآنية الى أن عمر هـذا التفسير ، أو غرق في مباحث فقهية وجدلية ونحوية وصرفية وخلقية وفلسفية وتاريخيـة وأسطورية . .




غير ان هذا التدرج الذي كان طبيعياً في مدارج التفسير ، أو كان يجب أن يكون .. لم يعجب الأستاذ قطب ، ووقف حياله موقفاً غريباً ، وان ساق الحجج ، وجمع ما لديه من دفاعات .. !

يقول المؤلف إن الفرصة التي كانت مهيأة للمفسرين لرسم صورة واضحة للجمال الفني في القرآن ، قد ضاعت ربما بهذا الترتيب الزمني الذي خضع له التفسير في ظروفه المختلفة ، وأعصره المتلاحقة .. !!

ونظر الأستاذ قطب الى البلاغيين نظرة ما كان أغناه عن البحث بها ، لا سيما وقد مسح بصناعتهم ، ما كان يجب أن يكونوا هم فيه من فرسان التفسير ، حتى أنهم لم يصلوا ، في رأيه ، الى ما وصل اليه المفسرون وشغلوا أنفسهم بمباحث عقيمة حول « اللفظ والمعنى » في أيهما تكمن البلاغة ، بل لقد غلب على بعضهم ، روح القواعد البلاغية فأفسد الجمال الكلي المنسق ، أو انصرف عنه الى التقسيم التبويب ، ووصلوا في هذا وذلك ، في بعض الأحيان الى درجة من الاسفاف لا تطاق .. !

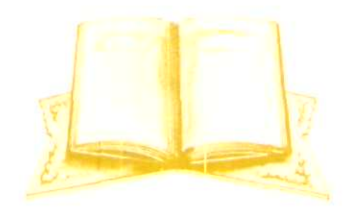
لكن الواقع يؤيد الجرجاني ، ويؤيد كذلك لاحقه الزمخشري في نظرة كل منهما الى التفسير البلاغي ، حيث أقام كلاهما الدليل على عدم الاستغناء عن علمهما أو تناسيه في التفسير الفني للقرآن ، وإن كان المؤلف قد قصر علمهم على الاستعارة وان كان يحتاجها التفسير ، وجردهم من تلك الروعة التي تظهر كثيراً من المعاني ، أو تعطي البعد الكبير لكثير من الآيات ، أو تدخل السرور على النفوس عند تقليب أوجه النظر في لفظ أو معنى ، يحتاج الى بلاغة البلاغيين ..

وقاعدة التصوير التي عناها المؤلف ، تتركز أو تشمل : التصوير باللون ، والتصوير بالحركة ، والتصوير بالتخييل ، غير التصوير بالنغمة ، فضلا على اشتراك الوصف والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق.

وكل هذا تصوير حي منتزع من عالم الاحياء ، لا ألوان مجردة ، وخطوط جامدة .. تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات ، بالمشاعر والوجدانات ، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية ، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة .

وقد أصاب الأستاذ قطب في مناقشة الأمثلة التي ساقها ، ووفق كل التوفيق في عرضه المعاني الذهنية التي تخرج في صورة حسية ، والمعاني المجردة ، والحالات النفسية والمعنوية ، وساق نماذج انسانية واضحة وأفاض في ذكر القصص الحقيقي ، كقصة ابراهيم ، وهو يبني الكعبة مع ابنه اسماعيل ، وقصة الطوفان ، ومشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب ، وغير ذلك من المشاهد الطبيعية التي تغذي الخيال ، وتملأ العين بهجة والنفس انشراحاً .

على ان الراحل الفاضل قد أحس بمقتضيات التصوير ، وشعر به في أسلوب القرآن ، فأراد أن يوضح قاعدته في فصل مستقل ، تحت عنوان « التخيل الحسي والتجسيم » . وكانت أمثلة التخييل الى جانب أمثلة التجسيم رائعة محسوسة ، مختارة نابضة بالحياة ، عامرة بالحركة .



والتوفيق الذي أحرزه المؤلف في شرح هذه القاعدة ، أو توضيح هذا الأساس ، انما كان توفيقاً من عند الله ، جلّ شأنه .

فالتصوير القرآني : « كما يكون بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، والنموذج الانساني والطبيعة البشرية ، يكون كذلك عن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فاذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، واذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، واذا النموذج الانساني شاخص حي . فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة ، وفيها الحركة ، فاذا أضاف اليها الحوار ، فقد استوت لها كل عناصر التخييل » .

واستوفى الأستاذ قطب ، الطريقة المفضلة في التعبير عن المعاني المجردة ، ومسار الأسلوب القرآني في أخص شأن يوجب فيه التجريد المطلق ، والتنزيه الكامل . وعرض لـ « **يد الله فوق ايديهم** » و « **كان عرشه على الماء** » و « **وسع كرسيه السموات والأرض** » و « **ثم استوى على العرش** » و « **الله يقبض ويبسط** » و « **اني متوفيك ورافعك إلي** » ، وان كان لم يعرض الى الجدل الذي ثار حول هذه الكلمات ، واكتفى بأن هذا قد جرى على نسق متبع في التعبير ، يرمي الى توضيح المعاني المجردة وتثبيتها ، ويجري على سَنن مطرد ، لا تخلف فيه ولا عوج ، سَنن التخييل الحسي والتجسيم في كل عمل من أعمال التصوير . . » غير أنه ولا شك ، ان هذه الطريقة في القرآن أساسية في التصوير ، كما أن التصوير ، هو القاعدة الأولى في التعبير . . » .

والتناسق الفني في تصوير القرآن ، ألوان ودرجات ، من ذلك : تأليف العبارات والايقاع الموسيقي والتركيبات البلاغية ، والتسلسل المعنوي ، كل ذلك يصاحبه الجو الذي يوائمه من الآيات ، مع مناقشتها بعد عرضها في اطارها المحكوم بهذا التناسق الفني ، الذي يحاط بالنظم الفصيح ، والسرد العذب ، والمعنى المترابط ، الى جانب النسق المتسلسل ، واللفظ المعبر ، والتعبير المصور والتصوير المشخص ، والتخييل المجسم الى الموسيقى المنغمة ، والاتساق في الأجزاء والاطار ، والموسيقى ، فضلا على الافتنان في الاخراج . .

« وخضعت القصة في القرآن في موضوعها وفي طريقة عرضها وادارة حوادثها ، لمقتضى الأغراض الدينية وظهرت سمات هذا الخضوع في سمات معينة ، إلا أن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني ، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها ، ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير : وهي التصوير . . » .

وبهذا المنطلق وزع الأستاذ قطب دراسته ، حول أغراض القصة ، وخضوع القصة للغرض الديني ، والدين والفن في القصة ، والخصائص الفنية للقصة ، والتصوير في القصة ، ورسم الشخصيات في القصة . . ودون شك في أن المؤلف ، قد عناه هذا البحث ، « وسيلة من وسائل ابلاغ الدعوة المحمدية وتثبيتها ، شأنها في ذلك ، شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب ، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث ، وعلى قدرة الله ، وشأن الشرائع التي يفصلها ، والأمثال التي يضربها . . » .

والنماذج الانسانية التي أثبتها الأستاذ الراحل ، دليل على قوة فهمه لمقتضيات أحوال الآيات القرآنية ومراميها المتعددة في سهولة ويسر ، فكان تصوير الجنس ، والمخلوق الضعيف العقيدة ، والمكابرة العجيبة ، والذي لا يخاف ولا يستحي ، والمنافق الضعيف ، والذي يريد الحياة بأي ثمن ، والجامدون على القديم ، والجماعة المتفرقة ، والذين يجادلون بالحق وبالباطل ، ومن يجتمع فيه الخداع والغفلة ، ومن ينفر عن الحق ، وغير هذا من بقية النماذج الانسانية التي وقف على مناقشتها هذا الكاتب الكبير . .

ولم يفت الراحل الكريم ، أن ينسى الموقف الذي وقفه القرآن من المجادلين الذين تصدوا له . . وتساءل عن أي الوسائل سلك ، وأي الأدلة اختار ؟

ولقد أجاب عن تساؤله ، وحشد الأدلة أمام مرماه ، ووضعها حيال غرضه . . وكان هذا هو المنطق الوجداني الذي جادل به القرآن وناضل ، وكسب المعركة في النهاية . .

يقول المؤلف :

« في هذا المنطق اشتركت الألفاظ المعبرة ، والتعبيرات المصورة ، والصور الشاخصة ، والمشاهد الناطقة ، والقصص الكثيرة . . »

وردّ الباحث الفاضل على من قال : ان الطريقة التي اتبعها القرآن في التعبير ، هي التي أبرزت الأهداف الدينية التي جاء القرآن لتحقيقها وكذلك الموضوعات الالهية والتشريعية التي تناولها . . .

قال الأستاذ قطب :

ان القرآن له طريقة موحدة في التعبير ، وهي كفاء الأغراض والموضوعات ، حتى أغراض البرهنة والجدل ، وهذه هي طريقة التصوير التشخيصي بوساطة التخييل والتجسيم . . .

ومن المحمود لهذا الكاتب ، أن يعترف بالصعوبات التي اعترضته في أثناء تأليفه هذا الكتاب ، ولا سيما : موضوع « القصة في القرآن » ، و « مشاهد القيامة في القرآن » .

يقول : انه وقف طويلا أمام هذه الصعوبات وان كان لم يجد حقيقة واحدة من حقائق التاريخ ، أو حقائق التفكير ، يطمئن الى يقينها وقطعيتها ، ليحاكم القرآن اليها . .

ويعترف المؤلف كذلك ، بأنه رجل فكر ، يحترم فكره عن التجديف والتلفيق ، لا رجل دين تصده العقيدة البحتة عن البحث الطليق . .

ولهذا وجد من المهانة ، ان يكون لانسان رأي ، يكذب به هذا « الكتاب » ولو لم يكن له نصيب من عقيدة ، أو دين . . ●

**أبو طالب زيان – القاهرة**




* أحدث ما ظهر من الموسوعات « موسوعة نافع البترولية » وهو معجم انكليزي / عربي وضعه الأستاذ محمد أسعد نافع وطبع بدار الهناء بالقاهرة .

وبالنظر الى كثرة الموضوعات التي تتصل بصناعة الزيت ، فقد ارتأى الأستاذ نافع أن يقسم موسوعته الى أبواب يضم كل باب منها المصطلحات الخاصة بهذا الفرع من الصناعة . فباب للجيولوجيا وآخر للكيمياء وباب للتكرير وغيره للتسويق ثم للاتفاقيات والعقود وللنقل وخطوط الأنابيب وهلم جرا .

ولئن كان هذا اللون من التنسيق في الموسوعة يختلف عن النظم المتبعة في المعاجم التي تراعي الترتيب الأبجدي للمصطلحات أياً كان الفرع الذي يرتبط به المصطلح من فروع العلم ، فقد ابتغى به الأستاذ نافع أن يساعد كل من يرجع الى موسوعته على الالمام بعمليات صناعة الزيت نفسها لا بمصطلحاتها المجردة .

كما يلاحظ أن الأستاذ نافع يتوسع في ايراد معاني كل لفظة ، فلا يقتصر على المعنى الاصطلاحي ، بل يورد جميع معانيها المبتوتة الصلة بصناعة البترول. ثم انه لا يكتفي باختيار لفظة واحدة لتؤدي معنى اصطلاحياً واحداً ، بل يورد سلسلة من الألفاظ تاركاً للقارىء مهمة المفاضلة بينها واختيار أدقها وأقدرها على أداء المعنى الاصطلاحي المطلوب .

* صدر للدكتور ابراهيم حمادة كتاب « معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية » عن دار الشعب .

* الشاعر المهجري الياس فرحات الذي يقيم في البرازيل أصدر كتاباً كبيراً عنوانه « ذكرياتي بين صباح الحياة ومسائها » روى فيه سيرة حياته الذاتية ومكونات شخصيته والأعلام الذين عرفهم والأسباب التي أدت الى هجرته والأعمال التي اشتغل بها في المهجر ، وتفتح موهبته الشعرية التي جعلته من الشعراء العرب المعاصرين . وتوسع الأستاذ فرحات في الحديث عن رحلته الى الوطن عام ١٩٦٠ بعد نصف قرن من الهجرة وسجل ما دار في هذه الرحلة من أحداث وما أقيم فيها من حفلات تكريم وما قيل فيها من نثر وشعر . وختم كتاب سيرته بفصل طريف عنوانه « مغامرة صيد في حوض أراغواي » صور فيه بأسلوب روائي ، جانباً من جوانب الحياة في المهجر . وقد نشر هذا الكتاب في البرازيل وطبع في مطبعة مجلة الشرق بسان باولو .

* من الكتب الجديدة التي تعالج السير والتراجم : « أبو العلاء المعري » للدكتورة بنت الشاطىء نشر الهيئة المصرية ، و « أحمد شوقي أمير الشعراء » للأستاذ جمال سليم نشر مجلة « الجديد » ، و « القاضي الجرجاني » للدكتور محمود السمرة وطبع عمان ، و « توينبي » للمرحوم الدكتور فؤاد محمد شبل ونشر الهيئة المصرية .

* في الأدب الفارسي صدرت ثلاثة كتب هي : « دراسات ومختارات فارسية » للدكاترة محمد السعيد جمال الدين ، وأحمد حمدي السعيد الخولي ، ومحمد السعيد عبد المؤمن ، ونشر دار الرائد العربي ، و « من الفكر الصوفي الايراني المعاصر » تأليف محمد صادق عنقاشاه مقصود بير أويسي وترجمة الدكتور السباعي محمد السباعي والدكتور ابراهيم الدسوقي شتا ونشر دار الثقافة ، و « منطق الطير » لفريد الدين العطار النيسابوري وترجمة وتعليق الدكتور بديع محمد جمعة ، ومراجعة وتقديم الدكتور عبد النعيم محمد حسنين ونشر دار الرائد العربي .

* من الدراسات الأدبية الحديثة صدرت الكتب التالية : « آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة » للدكتور فؤاد زكريا نشر الهيئة المصرية ، و «الشعر التونسي المعاصر من ١٨٧٠ الى ١٩٧٠ » للأستاذ محمد صالح الجابري وتقديم الأستاذ محمد العروسي المطوي ونشر الشركة التونسية للتوزيع ، و « الرواية فيما وراء العراق » للدكتور عبد الحميد الشلقاني ونشر الهيئة المصرية ، و « خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث » للأستاذ أنور الجندي وطبع القاهرة ، و « البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام » للأستاذ محمد رشيد ثابت ونشر الدار العربية للكتاب .

* صدرت في الدراسات الاسلامية طائفة من الكتب منها : « المصحف الشريف : دراسة تاريخية وفنية » للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق ونشر الهيئة المصرية ، و « فلسفة المعرفة في القرآن الكريم » للدكتور علي عبد العظيم بمقدمة للدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، و « والحرب على هدي القرآن والسنة » للأستاذ أحمد حسين ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « مباحث في علوم القرآن » للشيخ مناع القطان ، و « الحج الى بيت الله الحرام » لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ونشر مجلة الجديد ، و « كشف المغطى في المعاني والألفاظ الواقعة في الموطا » للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ونشر الشركة التونسية للتوزيع ، و « شؤون اسلامية » للأستاذ عبد الله قنون ، و « أهل البيت في مصر » للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « الملتقى السابع للتعرف إلى الفكر الاسلامي » وهو كتاب يقع في ثلاثة أجزاء ضخام نشرت فيه البحوث والدراسات التي قدمت الى هذا المؤتمر الاسلامي الذي عقد في الجزائر ، وقد قامت بنشره وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائرية ، و « رحلاتي الى الديار الاسلامية » لفضيلة الشيخ محمد محمود الصواف .

* أصدر الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الخامسه من كتابه المشهور « المذاهب الاجتماعية الحديثة : عناصرها السياسية والاقتصادية والدستورية» وقد نشرته دار الشروق في بيروت .

وتتميز هذه الطبعة الجديدة بما أضيف اليها من فصول موسعة عن الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة ، ثم عن أبرز الأحداث التي شهدها العالم العربي في السنين الأخيرة .

* أصدرت الأديبة اللبنانية الشابة الآنسة اميلي حداد كتاباً ثانياً من كتب الخواطر النفسية عنوانه « ليتك تسمع » .

* « بناة القاهرة في ألف عام » كتاب جديد للدكتور عبد الرحمن زكي ، صدر عن الهيئة المصرية .

* في الشعر صدرت مجموعة من الدواوين الجديدة منها « أناشيد وأغاريد للجيل المسلم » للشاعر يوسف العظم ، طبع سورية ، و «أدواح وأعاصير » للشاعر سعد ظلام ، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب و «حصاد الشمس» للشاعر عبد العزيز قاسم ، نشر مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع في تونس ، و « أول مرة » للأستاذ هايل العجلوني نشر مطبعة الحرية بعمان ، و « خفقات قلب » للأستاذ السيد محمد مصطفى الشوبكي ، وطبع مطبعة القوات المسلحة بعمان .

* كتاب عن « الغاز الطبيعي » صدر للمهندس الأستاذ فرج حبشي ونشرته الهيئة المصرية .

* من كتب الخواطر التي صدرت أخيراً كتاب « وجهات نظر » للأستاذ محمد مزالي ونشر الشركة التونسية للتوزيع ، و « خواطر » للأستاذ طاهر الحداد ، ونشر الدار العربية للكتاب .

* في الأدب الروائي ، بفنونه المختلفة صدرت الكتب الآتية : « نار ونور » وهي رواية جزائرية للدكتور عبد المالك مرتاض نشرتها دار الهلال ، و « صورة دوريان جراي » وهي مسرحية لكونستانس كوكس عن رواية أوسكار وايلد وقد ترجمها الدكتور عزيز سليمان ونشرتها مجلة الجديد ، و « دوائر عدم الامكان » أقاصيص للأستاذ مجيد طوبيا ، و « يحدث أحياناً » وهي مجموعة أقاصيص للأديبة زينب رشدي ونشر دار الشعب ، و « قصص من بلدي » للأستاذ حسني فريز ، وهو من منشورات مطبعة الشرق بعمان ●

# مرض الخلايا المنجلية

بقلم: الدكتور ابراهيم ناصر

**الهيموغلوبين** — Hemoglobin هو المادة الحيوية في الدم التي يتم بواسطتها نقل الأوكسجين من الرئتين الى خلايا وأنسجة الجسم المختلفة .

ولمادة الهيموغلوبين هذه قصة فريدة في عالم الطب . فلأهميتها البالغة جلبت انتباه الباحثين في كل قطر مما ولد لدينا ثروة علمية كبيرة وأصبحنا بذلك نعرف دقائق تركيب هذه المادة وكيفية تفاعلها مع الأوكسجين . والأهم من ذلك فقد أصبحنا نعرف الاصباغ الكروموسومية — Genes المسؤولة عن تركيب وعمل الهيموغلوبين . هذا مع العلم بأن أي خلل في هذه الجينات — Genes يولد خللا في الهيموغلوبين مما ينتج عنه حالة مرضية كما هي الحال بالنسبة لمرض الخلايا المنجلية الذي نحن بصدده .

يتكون جزيء الهيموغلوبين من مركبين أحدهما الهيم — Heme والآخر الجلوبين — Globin . ويتكون الجلوبين من أربع سلاسل— Chains من الأحماض الأمينية— Aminoacids تلتف حول بعضها في تناسق تام . ويبلغ تعداد الحوامض الأمينية في هذه السلاسل الأربع ٥٦٩ سلسلة مرتبة ترتيباً دقيقاً .

ولنلق نظرة الآن على تركيب الهيموغلوبين في مراحل تطور الانسان . ففي الأشهر الأولى من عمر الجنين يتكون الجلوبين من سلسلتين من نوع « جاما » وأخريين من نوع « بيتا » ويطلق على هذا الهيموغلوبين اسم ف — F . وفي حوالي الشهر الثامن يحدث تحول في تكوين الغلوبين فتستبدل السلاسل من « جاما » بأخرى من نوع « بيتا »،ويطلق على الهيموغلوبين في تلك الحال ( الف أو — A) وهو الذي يستمر وجوده بعد الولادة وعلى مدى الحياة .

هذه هي الحال بالنسبة للانسان السليم ، ولكن في الحالات المرضية قد يحدث خلل في هذا النظام . فمثلا قد يحدث خلل في التحول من هيموغلوبين ( الفا جاما ) الى ( الفا بيتا ) وفي هذه الحال يبقى الهيموغلوبين أو نسبة كبيرة منه من نوع « F » . ومثال آخر أن يستبدل أحد الأحماض الأمينية في السلسلتين من مجموعة ( بيتا ) بحامض أميني آخر فينتج عن ذلك هيموغلوبين من نوع جديد بدل الهيموغلوبين العادي من نوع « الف » كما هو الحال بالنسبة لمرض الخلايا المنجلية الذي نحن بصدده .

## تعريف المرض ولمحة تاريخية عنه

أن مرض الخلايا المنجلية مرض وراثي يصيب خلايا الدم الحمراء فيسبب فقراً مزمناً في الدم وذلك بسبب قصر عمر تلك الخلايا . وقد تم اكتشاف هذا المرض من قبل الدكتور « هرك — Herrick » في شيكاغو سنة ١٩١٠م وذلك لدى معالجته لأحد المرضى الزنوج المصابين بفقر الدم المزمن . وفي سنة ١٩٤٩ اكتشف الدكتور « باولنج — Pauling » الحائز على جائزة نوبل ، العلاقة بين المرض والخلل في نظام تركيب الهيموغلوبين . وقد كان لهذا الكشف العظيم الأثر البالغ في الاسراع بالأبحاث التي أدت في النهاية الى اكتشاف تركيب الهيموغلوبين بشكل تفصيلي . وفي السنة نفسها تمكن الطبيبان « نيل — Neel » و « بيت — Beet » من استقصاء الناحية الوراثية في انتقال المرض من الأبوين الى الأبناء .

**انتشار المرض** : يتركز مرض الخلايا المنجلية في أواسط افريقيا الاستوائية حيث تصل نسبة الاصابة بين السكان في بعض المناطق الى ٤٠ في المئة . وينتشر المرض كذلك في المناطق المحيطة بحوض البحر الأبيض المتوسط مثل تركيا ، اليونان ، ايطاليا ، وجزيرة صقلية ، وكذلك الهند وجنوب وشرق الجزيرة العربية . أما في الولايات المتحدة الأمريكية فينتشر هذا المرض بكثرة بين الزنوج حيث تصل نسبة الاصابة به حوالي ٩ في المئة .

يعتقد الاخصائيون أن هذا المرض قد بدأ في أواسط أفريقيا الاستوائية وفي المناطق التي ينتشر فيها مرض الملاريا . فمن المعروف أن جرثومة الملاريا تصيب خلايا الدم الحمراء . وقد أصبح من المؤكد الآن أن الخلايا المنجلية أشد مقاومة لجرثومة الملاريا من الخلايا الحمراء الطبيعية . ومن هنا استنتج الأخصائيون أنه كجزء من محاولة جسم الانسان البقاء والتغلب على المرض فقد حصل تغير ( Mutation ) في

« الجينات – Genes » المسؤولة عن تركيب الهيموغلوبين مما نتج عنه نشوء الخلايا المنجلية . ومع أن هذا التغير قد أدى مهمة حيوية مؤقتة ساعدت الانسان على مقاومة مرض الملاريا إلا أنه أنتج مرضاً جديداً يكاد أشد من الملاريا نفسها . فبعد أن تم القضاء على الملاريا في عدة بلدان لا يزال الناس يتوارثون هذا المرض عن أسلافهم .

أما عن كيفية انتشار هذا المرض من أواسط أفريقيا الى بقية أنحاء العالم فيقول الأخصائيون ان التحركات السكانية على الطرق التجارية القديمة قد لعبت دوراً كبيراً في نقل المرض الى جنوب الجزيرة العربية والهند ، وكذلك نقلت تجارة الرقيق المرض الى أمريكا وأقسام أخرى من العالم .

## أسباب وتطور المرض

لقد ذكرنا آنفاً أن هذا المرض ينتج عن تغير ( Mutation ) في « الجينات – Genes » المسؤولة عن تركيب الهيموغلوبين وعمله . وقد نتج عن هذا التغير خلل في تركيب الهيموغلوبين بحيث استبدل الحامض الأميني رقم – ٦ ( Glutamic Acid ) في السلسلة « بيتا » بحامض أميني آخر يدعى "Valine" . وبذلك نتج نوع جديد من الهيموغلوبين أطلق عليه اسم س (S) .

والسؤال الذي يرد الآن هو : كيف أن استبدال حامض أميني واحد في سلسلة تحوي ١٥٦ حامضاً أمينياً يتسبب في نشوء مرض خطير تشمل أعراضه جميع أعضاء الجسم ؟

وللاجابة عن ذلك نقول : في الظروف التي تقل فيها نسبة الأوكسجين في الدم يترسب الهيموغلوبين من نوع ( S ) وتتصل جزيئاته في حلقات ، وبالتالي يتغير شكل خلايا الدم الحمراء من شكلها الطبيعي الى كرات مقعرة من الجانبين ( Biconcake Spheres ) لتتخذ شكل المنجل ومن هنا جاءت تسميتها بـ : « مرض الخلايا المنجلية – *Sickle Cell* Disease » وينتج عن هذا التغير في شكل خلايا الدم الحمراء أمران مهمان وهما :

• **فقدان الخلية لمرونتها** : فالخلايا ذات الشكل الطبيعي الكروي المقعر مرنة مما يساعدها على المرور في « الأوعية الدموية الدقيقة – Capillary Bed » . أما الخلية المنجلية فتفقد خاصية المرونة وبذلك تتفتت أثناء مرورها في الأوعية الدموية مما يقصر في عمرها .

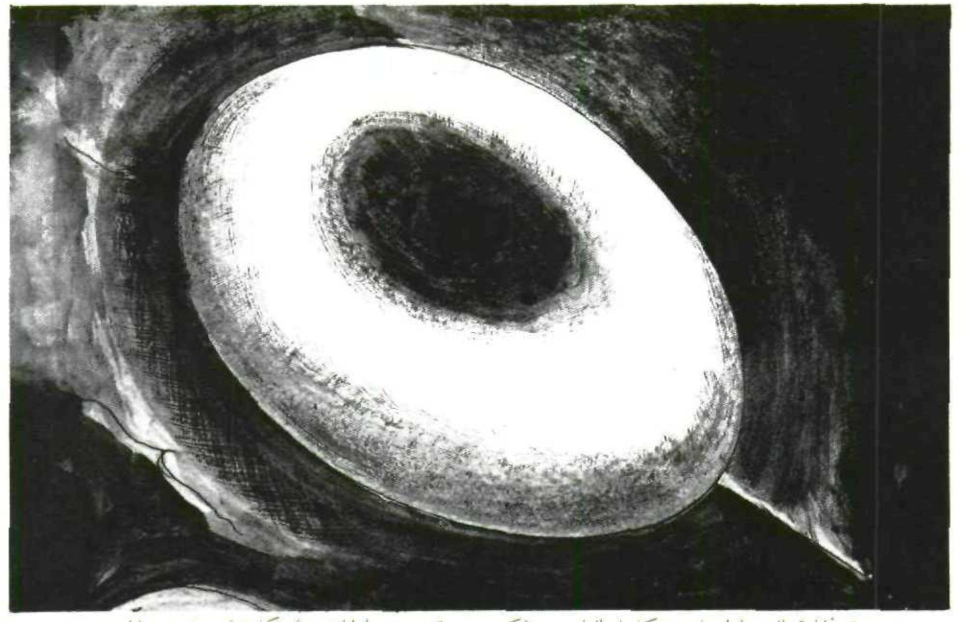
• **التصاق الخلايا المنجلية بعضها ببعض** : وهذا يسبب تخثراً في الدم وبالتالي انسداداً في الشرايين الدقيقة ، وانقطاع الدم عن الأنسجة التي تغذيها تلك الشرايين يسبب عطب أو تلف تلك الأنسجة .

## طريقة انتقال المرض من الآباء الى الأبناء

لقد ذكرنا أن جزيء الهيموغلوبين يخضع في تركيبه وعمله الى نوعين من الجينات ، وهي المواد المتوارثة التي تقرر صفات ووظائف الكائن الحي . وقد ذكرنا كذلك أن مرض الخلايا المنجلية نشأ نتيجة تغير في هذه الجينات . وبما أنها متوارثة بمعنى أن الانسان يرثها عن أبويه ، فكذلك يصبح المرض نفسه متوارثاً وينتقل من الآباء الى الأبناء عن طريق هذه الجينات . فاذا حصل وكان أحد هذين الجينين مصاباً فان حوالي نصف الهيموغلوبين يكون من نوع ( S ) المنجلي والنصف الآخر من النوع الطبيعي ( A ) ، ويكون تركيب الهيموغلوبين (SA) . وفي هذه الحال يكون المصاب ناقلا للمرض ولا يحمل أياً من أعراضه .

اذا كان كلا الجينين مصاباً فان حوالي ٧٠ – ١٠٠ في المئة من الهيموغلوبين سيكون من نوع « S » وبالتالي يكون تركيب الهيموغلوبين (SS) . وفي هذه الحال يكون المصاب حاملا للمرض وتظهر فيه أعراضه جميعاً.

وعلى هذا الأساس اذا افترضنا أن رجلا ناقلا للمرض ( SA ) تزوج من امرأة ناقلة للمرض كذلك ( SA ) وأنجبا أطفالا فان الأطفال سيكونون على النحو التالي : النصف ناقل للمرض ( SA ) والربع مصاب بالمرض ( SS ) والربع سليم ( AA ) .



صورة لخلية الدم الحمراء بشكلها الطبيعي ( كروي مقعر من الجانبين ) كما تظهر تحت المجهر .

أما اذا كان الزوجان مصابين بالمرض ( SS ) فان جميع أطفالهما سيكونون مصابين به ( SS ) . أما اذا تزوج رجل ناقل للمرض ( SA ) من امرأة سليمة ( AA ) فان نصف أولادهم سيكونون ناقلين للمرض ( SA ) والنصف الآخر سالمين ( AA ) .

ان فهم هذا الموضوع من الأهمية بمكان بحيث يفسر كثرة انتشار المرض في المجتمعات المغلقة التي ينتشر فيها التزاوج بين الأقرباء . فالرجل اذا كان ناقلا للمرض وأراد الزواج من

ابنة عمه مثلا فان احتمال كونها ناقلة للمرض مرجح ، كذلك وبنتيجة زواجهما يتفشى المرض في نسلهما على الشكل الذي بيناه .

وبالمقابل اذا تزوج ذلك الرجل من امرأة سليمة فلن يكون هنالك أحد من أبنائه مصاباً بالمرض . ومن هنا تأتي أهمية اختيار الزوج أو الزوجة المناسبة بحيث يخف التزاوج بين ناقلي المرض . وفي بعض المجتمعات التي ينتشر فيها المرض مثل الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية تقوم حملة كبيرة لتوعية الأفراد على أخطار هذا المرض فينصح الفرد بفحص دمه لمعرفة ان كان ناقلا للمرض . فان كان كذلك نصح بعدم الزواج من ناقل آخر للمرض أو على الأقل أعطي فكرة واضحة من قبل الطبيب عن احتمالات الاصابة بالنسبة لأطفاله حتى يكون على بينة من أمره فيحسن الاختيار .

## أعراض المرض

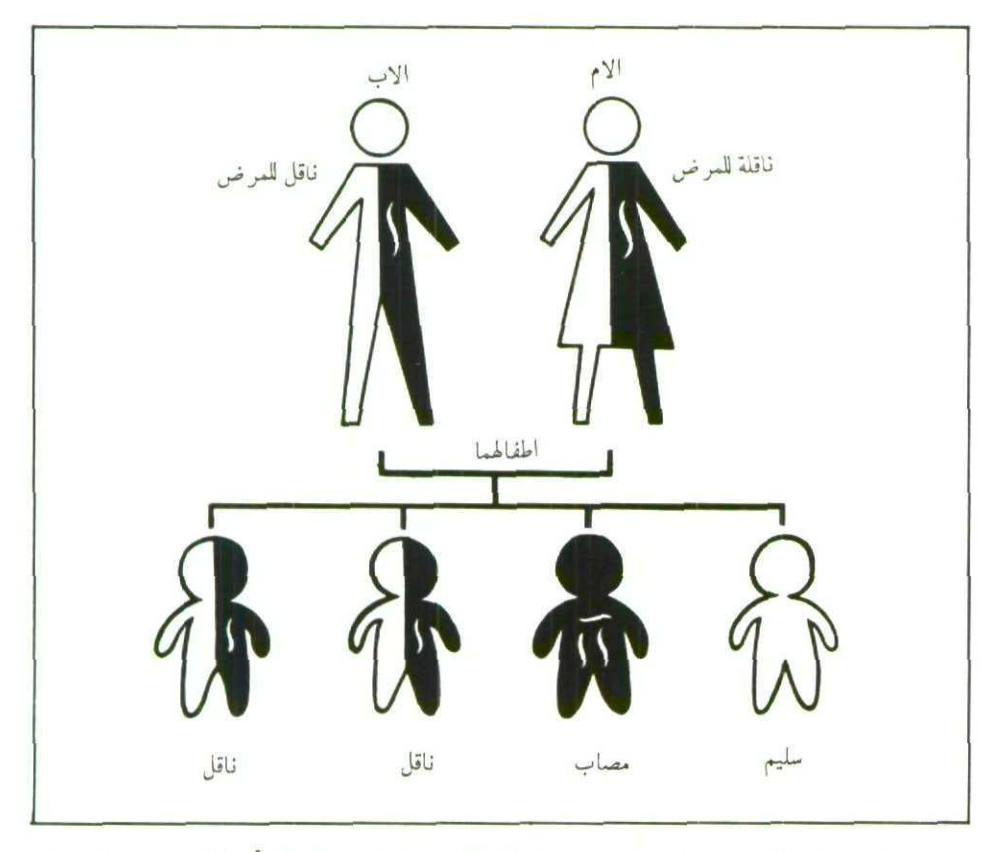
بالنسبة لناقل المرض ( SA ) فانه في الظروف العادية يخلو من أي عرض مرضي ، ويعيش حياة عادية ويكون متوسط عمره مماثلا لمتوسط أعمار الناس العاديين . وفي هذه الحال فان أقل من نصف الهيموغلوبين يكون من النوع المنجلي ( S ) ، في حين أن نسبة الهيموغلوبين في الدم تكاد تكون طبيعية حيث يخلو الناقل للمرض من فقر الدم . وناقلو المرض يتم الكشف عنهم في العادة عند المسح العام للسكان أو عند دراسة عائلة ما عند اكتشاف الاصابة بالمرض لدى أحد أفرادها .

أما بالنسبة للمريض المصاب ( SS ) . فان أعراض هذا المرض تعتمد على قاعدتين أساسيتين هما :

فقدان المرونة لدى خلايا الدم المنجلية مما يسبب تفتتها أثناء مـــرورها في الأوعيـــة الدموية الدقيقة . وهذا التفتت يسبب بطبيعة الحال قصراً في عمر تلك الخلايا ، فبدلا من أن تعيش كما هي الحال بالنسبة للخلية الحمراء السليمة حوالي ١٢٠ يوماً ، فان معدل حياة هذه الخلايا يبلغ حوالي عشرة أيام أو أقل . وهذا هو السبب الرئيسي في حالات فقر الدم التي تصاحب هؤلاء المرضى طوال حياتهم . ولمحاولة التغلب على فقر الدم هذا فان الجسم يحاول صنع المزيد من هذه الخلايا الحمراء فينشط «نخاع العظام — Bone Marrow» ليصنع هذه الخلايا وتزيد طاقة انتاجه الى عدة أضعاف ، ولكن هناك حداً لهذه الطاقة لا يمكن تجاوزها وحصيلة ذلك كله فقر في الدم تختلف حدته من مريض الى آخر . ويبدو المريض في هذه الحال شاحب اللون يميل الى الاصفرار ، وفي أغلب الحالات تظهر مسحة من اليرقان في عيني المريض وجلده ، وبما أن فقر الدم هذا يصاحب المريض منذ أيام طفولته فانه يسبب نحولا في الجسم وتخلفا جسدياً لديه .

أما القاعدة الثانية فهي قابلية التلاصق لدى الخلايا المنجلية بحيث تلتصق بعضها ببعض فتكون كتلا مختلفة الأحجام وتسبب تخثراً في الدم وانسداداً في الشرايين الدقيقة مما يمنع وصول الدم الى الأنسجة التي تغذيها تلك الشرايين . وقد يحصل ذلك في أي من أعضاء الجسم إلا أن هنالك أعضاء أكثر تعرضاً من غيرها مثل : العظام ، الطحال ، الكلى ، الدماغ . . فان حصل ذلك في العظام مثلا نتج عنه عطب أو تلف في العظم المصاب ، ويصاحب ذلك ألم شديد في ذلك العظم . أما اذا حصل في الكلى فنتيجة ذلك نزيف يشاهده المريض في بوله . وعلى هذا فان أعراض المرض متنوعة وقد تشمل أي عضو من أعضاء الجسم .

ومن الجدير ذكره في هذا المجال أن المريض المصاب بالخلايا المنجلية يمر في أزمات صحية حادة بين الحين والآخر تستدعي إدخاله الى المستشفى . ويصاحب هذه الأزمات آلام حادة في البطن وبالأخص في عظام الظهر والأرجل مع ارتفاع في درجة الحرارة وازدياد في حدة فقر الدم . وفي السابق كانت مثل هذه



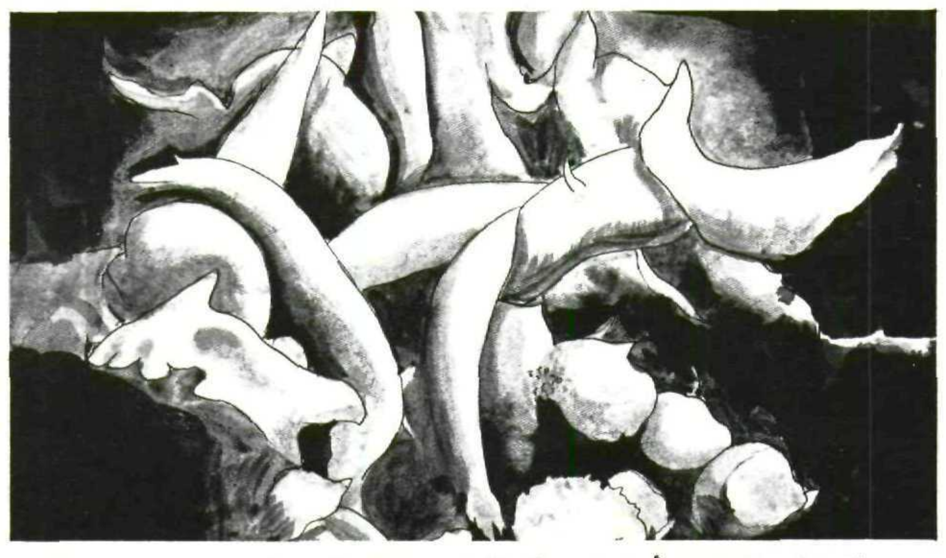

رسم توضيحي لانتقال المرض المنجلي عن طريق الوراثة . وفيه يظهر رجل وامرأة ناقلان للمرض تزوجا فأنجبا أربعة أطفال بينهم اثنان ناقلان للمرض وواحد مصاب وآخر سليم .

الأزمات الحادة تودي بحياة المريض وفي سن مبكرة . فقد كان معدل حياة المريض لا يتجاوز عقداً من الزمان ولكن ومع تحسن الرعاية الطبية أصبح هؤلاء المرضى ينعمون بقدر أفضل من الراحة ومنهم من يعمر ليبلغ سن الأربعين أو حتى الخمسين .

## تشخيص المرض

يلاحظ من وصف أعراض المرض عدم وجود صورة واحدة ومحددة المعالم لهذا المرض . فقد يظهر في صورة متباينة وقد يصيب اعضاء مختلفة ومتباعدة مما يزيد من الأشكال بالنسبة لتشخيص المرض . فحين يصيب الكلى مثلا قد يختلط الأمر مع مرض التهاب الكلى ، وحين يصيب العظام والمفاصل قد يختلط الأمر مع مرض الروماتزم وهكذا . إلا أن هناك قاعدة عامة تجب مراعاتها ، وتتلخص في دراسة حالة كل مريض مصاب بفقر الدم المزمن والتأكد من وجود هذا المرض أو عدمه خاصة اذا كان المريض من منطقة جغرافية يعرف فيها انتشار المرض .

ولتشخيص المرض لا بد من اللجوء الى الفحوص المختبرية . وفي البداية يتم الكشف لمعرفة نسبة الهيموغلوبين في الدم حتى يعرف مدى فقر الدم لدى المريض . ومن ثم يجرى كشف أولي لمعرفة قابلية الخلايا الحمراء لتأخذ شكل المنجل ، وذلك بفحص هذه الخلايا تحت المجهر بعد أن تكون قد عزلت عن الأوكسجين فترة ما . فان كانت نتيجة هذا الفحص سلبية تم التأكد من خلو المريض من المرض . أما اذا كانت النتيجة ايجابية فلا بد من فحص آخر لمعرفة ما إذا كان المريض ناقلا للمرض فحسب ( SA ) أو مصاباً به ( SS ) . ويتم ذلك بفحص شكل ترسب الهيموغلوين عند تمرير تيار كهربائي عليه . وبهذه الطريقة يمكن معرفة نسبة الهيموغلوبين المنجلي في الدم . فان كان أقل من ٥٠ في المئة كان المريض ناقلا فقط ، وان كان بين ٧٠ و ١٠٠ في المئة كان المريض مصاباً بالمرض .



صورة لخلايا الدم الحمراء بعد أن اتخذت شكل المنجل وترى ملتصقة بعضها ببعض من مريض مصاب بهذا المرض .

## العلاج

لا يوجد هنالك علاج ناجح لهذا المرض وما زال الطب يقف عاجزاً عن استئصاله . وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن يترك المصابون بهذا المرض دونما عناية طبية خاصة أثناء الأزمات الحادة . ففي هذه الحال لا بد من ادخال المريض المستشفى .

ويتلخص العلاج في عدة أمور بسيطة : أولها الاخلاد الى الراحة التامة أثناء الأزمات ، وتقديم الأوكسجين للمريض بالاضافة الى العقاقير الطبية اللازمة للقضاء على الآلام الحادة التي تصاحب هذه الأزمات . وفي الوقت نفسه لا بد من زيادة كميات السوائل المعطاة للمريض التي قد تساعد على منع تخثر الدم في الشرايين الدقيقة . ومن الأطباء من يصف بعض القلويات مثل كربونات الصودا وان كانت الفائدة المرجوة غير ثابتة .

وهنالك أبحاث كثيرة تجرى الآن لمحاولة ايجاد علاج ناجع لتلك الأزمات الحادة ، وفي هذا المجال نذكر اليوريا ( Urea ) والسيانيد ( Cyanide ) . ولكن للآن لم تثبت سلامة مثل هذه الوسائل للعلاج وما زالت في مراحل التجربة .

ويلاحظ أنه ليس هناك الكثير مما يستطيع الأطباء أن يقدموه الى هؤلاء المرضى وقد يكون خير ما يقدم اليهم هو أن تمنع عنهم بعض الأدوية الضارة مثل الحديد الذي كثيراً ما يوصف كمقو للدم . ومما لا شك فيه أن الحديد من الأدوية المفيدة بل اللازمة لعلاج نوع واحد من فقر الدم ذلك الذي ينتج عن نقص في الحديد ، أما بالنسبة لمرضى الخلايا المنجلية فلا يوجد لديهم نقص في الحديد بل بالعكس عندهم زيادة فيه واستهلاك كميات اضافية منه لها عواقب وخيمة . وهناك نقطة أخرى نود أن ننبه اليها وهي أن هذا المرض مزمن وفي غالب الأحيان يعتاد المرضى العيش بنسبة قليلة من الهيموغلوبين في الدم تتراوح بين ٧ — ٩ غم في المئة ويقومون بأعمالهم الاعتيادية على هذا المستوى ولا يلزمهم نقل دم جديد الا في الحالات النادرة . وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لمنع تكرار نقل الدم لهؤلاء المرضى لما في ذلك من مضاعفات لا حصر لها ●

د. ابراهيم ناصر
جامعة البترول والمعادن — الظهران

قصص الانسي

# العالم السعيد

بقلم الأستاذ محمد المجذوب

لم تكن « خرقاء » قد الفت من « فضالة » مثل هذا الوجوم قط . . بل على الضد من ذلك ، كان مصدر نشوة لها لا توصف ، وبخاصة عندما يحدثها عن مغامراته ، ويسمعها ما قاله في هذه المغامرات من الشعر الذي لا تلبث أن تستظهره اعجاباً به . . ولهذا كانت ضيقة الصدر بذلك الصمت، بل الذهول الذي يواجهها به منذ اليوم..وخيل اليها أن الرجل لم يعد على شأنه الذي تعرفه من اهتمامه بها وايثارها على سائر صويحباته . .

وبلهجة يغلب عليها الجفاف قالت : لم تعودني مثل هذا الجمود يا فضالة . . . فهلا صارحتني بما تفكر !

وفي تثاقل غير قليل رفع اليها عينيه المحمارتين ثم تمتم : لو تركتني لنفسي قليلا يا خرقاء . . اني بحاجة الى نفسي . بحاجة الى عقلي . . بحاجة الى بعض الهدوء . .

— حسناً . . لك ما تريد . . واذا شئت أرحتك من نفسي فابتعدت عنك الى حيث . .

— كلا . . . بل ابقي بجانبي ، ولكن لا تحاسبيني على كل شيء . .

وغمرت الجو سحابة ثقيلة من الصمت . . غير أن المرأة لم تستطع احتمالها طويلا ، فجعلت تعبث في جمة فضالة في لطف وهي تقول : « لا شيء اجدى عليك من الشراب في هذه الأيام القاسية . . ورفعت الى شفتيه القدح وهي تهمس : انها من معتقات قطر بل ، فداوبها قلقك . .

ودون أن يحرك لها يداً سمح لجرعة منه أن تتسلل الى فيه . . ثم أطبق شفتيه وأشاح بوجهه . .

وعاد الجو الى صمته الثقيل . . .

وأطرق كل منهما لا ينبس . .

وكأن المرأة قد تذكرت في اطراقتها ما لا ينبغي أن تنساه ، فجعلت تتمتم وكأنها تخاطب نفسها : هذا الخزي الذي جلّل قريشاً . . من المسئول عنه ؟ . . ألم يكن ثمة من سبيل الى تلافيه ؟! . .

وأمسكت قليلا تقلب كفيها كأنها تبحث عن الجواب . . ثم تابعت بلهجة أكثر حرارة : أين عنجهية قريش ؟ . . أين عهود فتيانها ، الذين آلو ليسدن أبواب مكة بوجه محمد(صلعم) وأشياعه ، ولو بجماجمهم . . وكأنما أقسموا ألا يبصروا بهم حتى يولوهم الأدبار ! . .

— لا . . . لا . . . لا تعجلي يا خرقاء .

أطلق فضالة هذه الكلمات في غير تعمد ، إذ كانت صدى لم يستطع خنقه لانفعاله الذي أحدثته في نفسه عباراتها المثيرة . . ثم استأنف : أجل . . لقد تعاهدنا على الثبات في وجهه حتى الموت ، ولكن . . ماذا أقول ؟ . . هل للبشر طاقة بمواجهة الجبال وهي تنقض عليهم ! . .

وفي سخرية لم تطق كتمانها عقبت : تلك حجة كل المنهزمين أمام خالد . . حتى صاحبك حماس بن قيس الذي كان يعد سلاحه لذلك اليوم ويعد امرأته بأن يهدي اليها الخدم من اسرى المسلمين ، لم يلبث أن اسلم ساقيه




للريح امام سرية ابن الوليد، حتى أغلق عليه بيته وهو يردد على تقريع امرأته :

**انك لـو شهدت يـوم الخندمـة**
**إذ فـر صفـوان وفـر عكرمة**
**واستقبلتهـم بالسيـوف المسلمـة**
**يقطعـن كـل ساعـد وجمجمة**
**لم تنطقي باللـوم أدنـى كلمـة**

– لقد والله صدق حماس . . ولو شهدت ما شهد وشهدنا يا خرقاء يوم الخندمة لم تنطقي باللوم أدنى كلمة . .

– ولم ؟ . . اليسوا رجالا مثلكم . . اليس خالد الذي يقود تلك السرية هو رفيقكم ونظيركم بالأمس . . فبأي شيء تفوق عليكم اليوم ؟ . .

– اسمعي يا هذه . . انهم حقاً رجال . . ولكنهم يحبون الموت كما يحب غيرهم الحياة . .

انهم يؤمنون بوجود آخر فيه الخلود والنعيم وما لا عين رأت ولا أذن سمعت . . فهم يقتحمون عدوهم للوصول الى ذلك « العالم السعيد » . . أما نحن فنقاتل للسمعة ، ونحن موقنون أن ليس لنا سوى هذه الحياة القصيرة . . وشتان بين الفريقين ! . .

– لقد أوشكت تصبأ يا فضالة . . أتصدق هذه المزاعم ! .

– وانتفض فضالة ثم هب واقفاً وهو يردد: لا . . لا . . ولكن . .

– ماذا ؟!

– سترين ماذا . . .

ولم يتلبث الا ريثما أصلح رداءه ، فاتجه نحو الباب ، ثم توارى في الزقاق الجانبي دون أن يودع صاحبته بكلمة .

* * *

لم يكن منزل فضالة على بعد كبير ، ومع ذلك فقد استغرق في اجتياز المسافة اليه غير قليل من الوقت . وأكثر من مرة كاد يخالف الطريق الذي أراد ، فيقف ليتساءل : أين أريد ! . ولولا ألفة قدميه هذه الملتويات من أزقة مكة لكان حرياً بأن يضل سبيله .

وما كاد يطمئن في قلب بيته أخيراً حتى ألقى بنفسه على احدى الحشايا . وهناك أسند ظهره الى الجدار ، وشبك راحتيه الكبيرتين حول ركبتيه ، وأراح فوقهما ذقنه ، ثم راح بصره يتسمر في الاتجاه المقابل دون تحديد .

وانطلقت مشاهد الأحداث تتواثب في مخيلته عنيفة مثيرة ، حتى لكأنه يواجهها لأول مرة . وكان متعذرا عليه أن يحصر تأملاته في واحد منها دون غيره . .

انه ليطالع في هذه اللحظات الثقيلة وقائع الأمس وما تقدمها من سلسلة لا يتذكر أين تبدأ حلقاتها الأولى . . . مصارع الصناديد من قريش على تراب بدر ، وكأنما سيقوا الى محمد (صلعم) مقيدين ليذيقهم ألوان الخزي ، كفاء مساآتهم السابقة اليه والى أصحابه . .

ثم .. ضربات الثأر التي شفت الصدور الموتورة في مكة يوم أحد ... حين انكشفت الكثرة من أنصار محمد (صلعم) عنه، وثبت وحده في قلة لا تذكر من حيث العدد ، ولكنها حققت مالا يتصور من خوارق البطولات ...

ثم مناظر الأحزاب ، وقد زحفت على يثرب بالآلاف العشرة من قريش وغطفان وأحلافهم ... وفي عزم كل منهم أن يسهم في استئصال محمد (صلعم) ، ومن تبعه ، حتى لا يبقى له ولدعوته أثر في الأرض ... ولكن .. سرعان ما تحطمت آمال الأحزاب على صخرة العزائم التي لم تعرفها العرب قبل عهد محمد (صلعم) ، قط ... حتى الرياح جاءت تنصر محمداً ، فتنسف الخيام ، وتسفي القدور ، وتشتت المطايا .. وتكره الأحزاب على النكوص لا يلوي أحد منهم على أحد ..

وها هي ذي اليوم كتائب محمد (صلعم) تقتحم مكة عنوة ، فلا يقف في وجهها شيء .. وكأن كل شيء فيها حتى الحجارة تفغر أشداقها لابتلاع المقاومين ، الذين أرادوا مواجهة السيل ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

ويقطع تأملاته قليلا ليتساءل : ولكن .. لم كل هذا البلاء يجتاح مكة دون أن يعرف أهلها سبيلا الى دفعه ! .. ومن المسئول عن هذه المحن التي نعانيها منذ سنين !! ..

ويتردد في أعماقه صوت أبي الحكم بن هشام ، وهو يستفتح معركة بدر بالدعاء الى الله ، أن يجعل الدائرة على الظالم من الفريقين .. ثم كانت العاقبة هزيمة الألف من الضالعين معه ، وانتصار المئات الثلاث من المؤمنين بدعوة محمد بن عبد الله ( صلعم ) ! ..

ويتساءل كرة ثانية : ليت شعري هل يعني ذلك اننا كنا نحن الظالمين ! ...

وهنا ألفى نفسه تلقاء أشياء أخرى لم يستطع أن يصرف عنها ذهنه ، على كثرة ما بذل من المحاولات : أي لون من الظلم هذا الذي يعرض له أبو الحكم في دعائه ذاك ؟ .. وهل كان محمد (صلعم) ، ظالماً حقاً ؟! .. أليس هو الذي أجمعت قريش على تسميته بالصادق الأمين ؟ وماذا أحدث لها من أذى حتى تجمع على حربه ! .

أكل ذنبه انه يدعوها الى عبادة الله وحده ، وخلع كل ما دونه من هذه الأوثان .. هذه الدمى التي لم تقدر على حماية نفسها من قضيبه ، فراحت تتساقط على وجوهها من أعلى جدران الكعبة ..

وشعر فضالة أنه مشرف على هاوية لا يعرف قرارها .. فنفض راسه ، كأنه يطرد هذه التصورات التي لا يريد الخوض في شأنها .. وعاد الى أفكاره الأولى ولكن محداً ليس بظالم .. حتى غزوته لمكة لم تكن الا وفاء بالعهد الذي قطعه لحلفائه من خزاعة ، بعد أن عدت عليها قريش ، فأعملت فيها السيف حتى في قلب الحرم بغياً وغدراً ...

وتراءى له مشهد محمد (صلعم) ، يطل على قريش المهزومة من باب الكعبة وهو يقول لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ..

وتتفاعل أصداء هذه الكلمة في خياله ، فاذا هناك مشاهد الكتائب الزاحفة تحت رايات محمد ( صلعم ) ، وقد أحاطت بأرجاء مكة ، وأطبقت على مشارف الطرق فلا مفر لأحد من قبضتها .. ومع ذلك ، ومع قدرته المطلقة على البطش بخصومه الذين أكرهوه على مفارقة مكة ... لم يفعل شيئاً سوى حمايتهم من كل كرب ، ثم ابلاغهم أسمى مشاعر الرحمة في هذا القرار العظيم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ..

ومرة أخرى يشعر بالانجراف نحو ما لا يحب من القول والتصور .. فيثب بقوة وهو يقول : مهما يكن فما ينبغي أن أنسى لمحمد تمزيقه صفوف قريش ، وقتله العلية من سادتها وذوي أحلامها .

لا ... لا ... اني سأظل أكره محمداً .. ولن أسمح لهذه الأفكار الغريبة بأن تقلل من بغضي إياه ..

• • •

وكانت غبشة الغروب قد بدأت تمد ظلالها على فناء الكعبة ، فتغيب المشاهد في غلالة رمادية مهيبة .. وقد انتشر المعتكفون في أرجاء المسجد بين راكع وساجد . وتوزع المقرئون من الصحابة هنا وهناك ، وحول كل منهم حشد من حدثاء الاسلام يلقنونهم آيات ربهم ، ويعلمونهم ما لم يكونوا يعلمون من حقائق الوحي .

وفي خشوع رهيب يواصل رسول الله (صلعم) ، أثناء ذلك طوافه بالكعبة تالياً ذاكراً ضارعاً .. حتى اذا أكب على الحجر المكرم يقبله في نهاية أحد الأشواط ، أخذت عيناه منظر رجل يتبعه في بطء ، وقد جمع رداءه بيديه الى الداخل ، فلم يشأ أن يستأنف طوافه قبل أن يشعره باهتمامه ، فناداه : أفضالة ؟

وبعد تردد غير ارادي يجيب الرجل بصوت يغلب عليه الجفاف والارتجاف : نعم فضالة يا رسول الله ..

وفي لهجة يمتزج فيها الحنان بالعتاب يسأل رسول الله فضالة : بماذا كنت تحدث نفسك ؟ ..

وتعثرت الألفاظ على لسان فضالة وهو يقول : لا شيء .. كنت أذكر الله .

ولم تكن اجابة فضالة لتصرف نبي الله عن ملاحظة ما تحمل لهجته من آثار قلبه ، فضحك من زعمه حتى برقت ثناياه ، ثم قال له : استغفر الله .

ووضع يده على صدره ، ثم لم يكد يرفعها حتى أحس فضالة أن كل شيء في وجوده قد تغير ، وانه منذ الساعة قد بدأ يطل على مشارف « العالم السعيد » .

وعاد ادراجه الى بيته في الطريق نفسها التي تمر بمنزل صاحبته ، فما أن لمحته حتى أسرعت تدعوه اليها ، ولكن فضالة واصل سبيله دون أن يعيرها أي التفات ، وجعل يغمغم بصوت لم تعهد مثل لحنه من قبل :

**قالت : هلم الى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والاسلام •**

**محمد المجذوب — المدينة المنورة**




نموذجان من أنواع ساعات الحائط العصرية .

راجع مقال : صناعة الساعات وعلم التوقيت . تصوير : شركة التصوير الوطنية



أحد أروقة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة .

راجع مقال : تاريخ المساجد وعمارتها في مكة والمدينة .     تصوير : شيخ أمين